

تاريخ الأمة القبطية

الحلقة الثانية

خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر

تأليف

كامل صالح نخلة و فريد كامل

عضوا لجنة التاريخ القبطى

مكتبة المحبة

تاريخ الأمة القبطية

الحلقة الثانية

خلاصة تاريخ المسيحية في مصر

تأليف

كامل صالح نخله و فريد كامل

عضو لجنة التاريخ القبطي

طبعة رابعة

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

****************   *****************

طبع بشركة هارموّنى للطباعة
تليفون: ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤١٢٧ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى I-977-12-0628



غبطة البابا المعظم

الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الجزء الأول يصدر من الكتاب

حضرتا الأبنين المباركين الاستاذين فريد كامل وكامل صالح نخلة عضوى لجنة التاريخ القبطى باركهما الرب

بعد متحكما البركات وامدادكما بصالح الدعاء بنعمته تعالى تكونان بخير ـ عرض علينا كتاب مختصر تاريخ المسيحية فى مصر الذى وضعته "لجنة التاريخ القبطى" فسرنا ما حواه من حقائق تاريخية هى من اغزر الموارد التى يستقى مثلها ابناؤنا الاحباء شباب كنيستنا القبطية الأرثوذكسية المجيدة مما يزيدهم معرفة فى قوة إيمان آبائهم واستقامة عقائد كنيستهم بما حواه من قوة الدليل ومتانة الحجة.

ولئن كان من أحب الأمور لدينا ان تتاح لبنوتكما هذه الفرصة لتقدما هذا المؤلف للطبع فاننا على ثقة بأنه سينال من تقدير جميع طبقات الأمة لما عرف عنكما من عقل راجع وعلم غزير مع تعمق فى البحث للوصول الى الحقائق المجردة من الهوى

إله كل نعمة ينير لكما السبيل ويسدد خطواتكما ويستخدم مجهوداتكما لمجد اسمه القدوس وخير كنيسته المحبوبه

ونعمة الرب تشملكما ولعظمته تعالى الشكر دائما،،،

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد امين

مقـدمــة

قامت لجنة التاريخ القبطى منذ عهد بعيد بطبع ونشر كتاب "مختصر تاريخ المسيحية فى مصر" ونال موافقة بطريركية الأقباط الأرثوذكس فى عهد مثلث الرحمة البابا كيرلس الخامس البطريرك (١١٢) فأصدر أمره بتقريره للمدارس القبطية ثم قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بالمدارس التابعة لها، واستمر هذا الحال الى أن قامت وزارة المعارف العمومية بشراء حق طبع الكتاب وتوزيعه بمعرفتها فى مدة معينة انتهت منذ عهد بعيد. وقد حالت بعد ذلك ظروف الحرب دون إعادة طبع هذا المؤلف ونشره.

وقد دل الاختيار على أن الحاجة ماسة إلى مراجعة مواضيع الكتاب لإتمام أوجه النقص التى دلت الخبرة على ضرورة ملافاتها وإدخال بعض المواضيع الهامة الخاصة بشؤون الكنيسة وطقوسها واصطلاحاتها الكنسية، فقام حضرة الأستاذ الكبير فريد كامل عضو لجنة التاريخ القبطى بالأشتراك معى فى استكمال أوجه النقص المذكورة حتى أصبح الكتاب والحمد لله دائرة معارف صغيرة حاوية لتاريخ المسيحية وشؤون الكرسى الأسكندرى ومعتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وطقوسها وترتيب قداساتها، فضلاً عن الاصطلاحات الدينية المستعملة فيها، فأصبح بذلك حاويا لكل ما يهم إلمام أبناء الأمة القبطية به من تاريخ كنيسته وعقائدها. وقد نال موافقة لجنة فحص الكتب الدينية التى يرأسها حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا يؤانس مطران الجيزة والقليوبية على طبعه وتدريسه للنشئ القبطى.

وكذا نال استحسان وموافقة غبطة البابا المعظم الأنبا يوساب الثانى وصدر أمره الكريم باعتماد طبعه وتدريسه لأبناء الأمة القبطية للالمام بشؤون معتقداتهم وطقوس وتاريخ كنيستهم.

ونظراً للإضافات الكثيرة التى ادخلت إليه فقد رأينا اصداره فى جزءين

وفقنا الله سبحانه وتعالى إلى ما فيه خير بيعته الأرثوذكسية المقدسة ونفع أبناء الأمة القبطية.

وإنى أشكر حضرة الأستاذ الفاضل رئيس مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة على قيامة بطبع هذا الكتاب على نفقة المكتبة وتقديم صافى إيراده إلى لجنة التاريخ القبطى لتقوم بطبع المؤلف العظيم الذى قمت بوضعه وهو الخاص بتاريخ المجامع المسكونية المقررة فى الكنيسة القبطية والمجامع المكانية الخاصة من يوم دخول المسيحية أرض مصر الى وقتنا هذا،

٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٩

كامل صالح نخله

عضو لجنة التاريخ القبطى

مصـــادر الكتـــاب

أولاً ـ كتب عربية

١ ـ المرسلين اليسوعيين ـ الكتاب المقدس ـ بيروت سنة ١٨٨٥

٢ ـ B.Evetts – تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية بالأسكندرية (عربى وإنجليزى) باريس سنة ١٩٠٤ لساويرس بن المقفع

٣ – الراهب البراموسى (الأسقف ايسوذوروس) ـ التبر المسبوك فى تاريخ البطاركة والملوك ـ القاهرة سنة ١٨٩٨ .

٤ ـ نخبة من آباء الكنيسة ـ السنكسار القبطى (المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٩٣٥) الصادق الأمين فى أخبار القديسين.

٥ – Renet Basset السنكسار القبطى ـ باريس.

٦ – البطريرك مكسيموس مظلوم ـ (الدر المنظوم) والكنز الثمين فى أخبار القديسين (مطبعة النجار ببيروت سنة ١٨٦٩) .

٧ – الآباء اليسوعيين ـ مروج الأخبار فى تراجم الأبرار ـ مطبعة المرسلين اليسوعيين ببيروت سنة ١٨٨٠ .

٨ – الأسقف ايسوذورس ـ الخزيدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ـ مطبعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٢٣ .

٩ – الشماس منسى القمص ـ تاريخ الكنيسة القبطية ـ مطبعة اليقظة بالقاهرة سنة ١٩٢٤

١٠ – موسهيم ـ تاريخ الكنيسة المسيحية ـ المطبعة الأمريكانية ببيروت سنة ١٨٧٥ .

١١ – ميخائيل بك شاروبيم ـ تاريخ مصر القديم والحديث ـ المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٨٩٨ .

١٢ – يعقوب بك نخله روفيله ـ تاريخ الأمة القبطية ـ مطبعة التوفيق بالقاهرة سنة ١٨٩٨ .

١٣ – البطريرك افتيخوس (سعيد بن بطريق) كتاب التاريخ مطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت سنة ١٩٢٤ .

١٤ ـ سليم سليمان ـ مختصر تاريخ الأمة القبطية ـ المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٩١٤ .

١٥ – حافظ داود (الناشر) ـ الدسقولية أو تعاليم الرسل. مطبعة اليقظة سنة ١٩٢٤ .

١٦ – جرجس فيلوثاوس (الناشر) ـ المجموع الصفوى لابن العسال "التوفيق" سنة ١٩٠٨

١٧ – القمص يوحنا سلامه ـ اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ـ مطبعة التوفيق بالقاهرة سنة ١٩٠٨ .

١٨ – البطريرك مار اسطفان الدويهى ـ منارة الأقداس ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٥

١٩– يوحنا زكريا بن سباع –كتاب الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة ـ مطبعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٠٨

٢٠– المطران جراسيموس مسرة ـ تاريخ الانشقاق ـ المطبعة الإبراهيمية بالأسكندرية سنة ١٨٩١

٢١– ساويرس بن المقفع ـ الرد على سعيد بن بطريق وكتاب المجامع ـ باريس سنة ١٩١١

٢٢– أقلوديوس لبيب (الناشر) ـ الخولاجى (الكبير) الباسيلى والغريغورى والكيرلسى ـ مطبعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٠٢

٢٣– المقريزى.. الخطط المقريزية .. مطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٩٠٧

٢٤– على باشا مبارك ـ الخطط التوفيقية.. المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٨٨٩

٢٥– B. Evetts تاريخ أبى صالح الأرمنى (عربى وإنجليزى) . اكسفورد سنة ١٨٩٤

٢٦– القمص يوسف الحبشى الشهير بالفرنساوى. حياة يسوع المسيح. مطبعة التوفيق بمصر.

٢٧ – القمص فيلوثاوس إبراهيم تنوير المبتدئين فى تعليم الدين ـ مطبعة التوفيق بمصر سنة ١٩١٢ .

٢٨ – حبيب جرجس. خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مطبعة الشمس.

٢٩ ـ عطية بك وهبى. الأثر الذهبى. المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٩١٥ .

٣٠ – المسيو ماسبرو. محاضرة عن الروابط التى تربط سكان مصر الحاليين بسكانها القدماء. القاهرة سنة ١٩٠٨ .

٣١ – جرجس فيلوثاوس. تاريخ المرحوم القمص فيلوثاوس ابراهيم. مطبعة التوفيق بالقاهرة سنة ١٩٠٥ .

٣٢ – جرجس فيلوثاوس. اللغة القبطية. المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٩١٦ .

٣٣ – يوسف جرجس الرحلة البطريركية إلى الإمبراطورية الأثيوبية. المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٩٣٠ .

٣٤ – القمص عبد المسيح صليب المسعودى. تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين. مطبعة الشمس بالقاهرة سنة ١٩٣٢ .

٣٥ – الأمير عمر طوسون. الأديرة القبطية بوادى النطرون مطبعة السفير بالأسكندرية سنة ١٩٣٥ .

٣٦ – لبيب حبشى وزكى تاوضروس فى صحراء العرب والأديرة الشرقية. المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٩ .

٣٧ – Dr A.G.Butler تاريخ الفتح العربى لمصر تعريب محمد فريد أبو حديدة. مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٢٣ .

٣٨ – الآب لويس شيخو اليسوعى. المخطوطات العربية لكتبة النصرانية.. مطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت سنة ١٩٢٤ .

٣٩ – توفيق اسكاروس. نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر. المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٩١٣ .

٤٠ ـ مرقس سميكة باشا. دليل المتحف القبطى. المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ .

٤١ – القمص أرمانيوس حبشى البطريرك ديوسقورس الأول. المطبعة المصرية الأهلية سنة ١٩٣٨ .

٤٢ – جرجس فيلوثاوس ـ القبط. المطبعة المصرية الأهلية سنة ١٩٣٢ .

٤٣ – الأسقف ايسوذوروس. مجلة صهيون. القاهرة.

٤٤ – اقلوديوس لبيب. مجلة عين شمس. القاهرة.

٤٥ – جرجس فيلوثاوس. المجلة القبطية. القاهرة.

٤٦ – حبيب جرجس. مجلة الكرمة. القاهرة.

٤٧ – جمعية التوفيق القبطية. مجلة التوفيق. القاهرة.

(٤٣ – ٤٧: مجموعات سنوية مختلفة)

٤٨ ـ وزارة المالية. تقويم الحكومة المصرية. المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٩٢٩ .

٤٩ – عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار. المطبعة العامرة الشرقية سنة ١٩٠٤ .

ثانياً ـ كتب انجليزية

1 - wallis Budge - The Nile - London 1893.

2 - M. Fowler - Christian Egypt, - London 1901.

3 - A . Butler - The Ancient Coptic Churches of Egypt. - Oxford 1884.

4 - S . Sharpe - The History of Egypt - London 1859.

5 - Milne - The History of Egypt under Roman Rule - London 1913.

6 - 1. Lane Pool - History of Egypt (Middle Age) - London 1913.

7- G.H. Leeder - Modern Sons of the Pharaohs.

ثالثا ـ كتب فرنسية

1-M.H. Zotenberg - Chronique de Jean Evêpues de Nikiou. Paris 1889.

2 - A. M. de Zegheb - Enides sur I'Ancienne Alexandrie - Paris 1910

3 - Chaine - Chronologie des temps chretiens - Paris

4 - Arthur Rhonë - Résumê Chronologique de l'Histoire de l'Egypte - Paris.

5 - *Matter* - Histoire de l' Ecole d'Alexandrie.

6 - Champollion Figeac - Histoire de l' Egypte Paris 1840.

7 - Vansleb - Histoire de l'Eglise d'Alexadrie Paris 1677.

8 - Elisée reclus- L'homme et La terre - paris 1903.

9 - - Larousse du xx sciècle - Paris 1903.

10 - Gustave Lebon - Les premiêres Civilisations paris.

11 - Gayet - L'Art Copte - Paris 1902.

12 - E. Amelineau - Geographie de l'Egypte à l'Epoque Copte - Paris 1893.

13 - Vicomte Jacques de Rougê - Geographie ancienne de la Basse Egypte - Paris 1891.

14 - Daressy - Les Grades villes d'Egypte à l'Epoque Copte - Angers 1894.

15 - W. Hohlwein - l'Egypte Romaine - Bruxcllos 1912.

16 - Gaston Homsy - Le Gènéral Jocob. Marseilles 1921.

17 - E. Amélineau - Contes et Romans de l'Egypte Chrétienne - Paris 1888.

18 - Divers Historiens et Ârcheologues - Prêcis del' l'Histoire, del'Egypte - Le Caire 1932.

طبع فى { توت ١٦٦٦ ش
سبتمبر ١٩٤٩م

الباب الأول

مصر القديمة واستعدادها لقبول المسيحية

ديانة المصريين القدماء

ماذا كان يعبد المصريون : من الأمور التى لا تحتمل شكا أن مصرايم بن نوح حمل معه إلى مصر عبادة الآلة الواحد نقلا عما تعلمة بالتلقين من أبية وجدة والراجح أن هذة العبادة بقيت معروفة بين ذرارية أحقابا عدة قبل أن يعدو عليها الدهر وتتحول شيئا فشيئا عن أصلها وبقيت بحيث يحسبها الناظر إليها عبادة وثنية.

ولكن حتى بعد ما شوهت عبادة المصريين القدماء بقيت فى تفكيرهم ـ ولاسيما كهنتهم ـ عقائد ومبادئ هى ظلال العبادة الحقيقية. وهذة العقائد هى التى قربت اذهانهم من المسيحية ومبادئها عندما بشروا بها، فاقبلوا عليها وأعتنقوها وتمسكوا بها رغم ما أنزل بهم أباطرة الرومان من اضطهادات بسببها. العقائد الموروثة من العبادة الاصلية: ونذكر هنا العقائد التى ورثها المصريون مما وصل اليهم من العبادة الصحيحة وكانت سبباً فى سرعة فهمهم للديانة المسيحية وقبولهم لها:

اولاًـ فكرة الوحدانية ـ إن هذة الفكرة كانت موجودة فى أذهان المصريين، وليس أدل على ذلك من ثورة أخناتون الدينية فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكان ينشد بها التخلص من الآلهة المتعددة بما فيم أمون العظيم و توحيد العبادة لقرص الشمس "أتون" مصدر الحياة. وقد قال أخناتون بصراحة فى انشودتة المشهورة لقرص الشمس:

"أنت الإلة الواحد لاشريك لك فى الملك. خلقت الأرض بأرادتك. ولما كنت وحيداً فى هذا الكون خلقت الإنسان والحيوان الكبير والصغير والمخلوقات التى تدب على الأرض أو تطير بأجنحتها"

ابحاث العلماء: وقد بحث كثير من العلماء فى هذة الحقيقة وأيدوها فقال هيرودوتس "ان أهل طيبة كانوا يعرفون الإلة الواحد الذى لابداية لة الحى الابدى". وقال بورفيروس احد اساتذة المدرسة الفلسفية فى الأسكندرية فى القرن الثالث بعد المسيح "ان المصريين كانوا يعرفون إلها واحداً ". واسفرت ابحاث العلامة جامبليكس من فلاسفة القرن الثالث كذلك عن "ان المصريين كانوا يعبدون إلهاً واحداً هو سيد العالم وخالقه فوق جميع العناصر غير مادى ولا متجسد. غير مخلوق ولا مرئى. هو الكل فى الكل ومحيط بالكل و متصل بالكل". وأهم من ذلك نص العقيدة المصرية التى عثر عليها العلامة الألمانى بروكش فى ابحاثة الأثرية وهى "الله هو الواحد الأحد. لاإلة إلا هو. الذى صنع كل شئ. الله روح. وهو روح خفى. روح الأرواح. روح المصريين الأكبر. الروح القدس. الله هو الموجود من الأزل. وهو موجود قبل كل الوجود. فهو أبو الأصول. الله ازلى وهو الحى الدائم الذى لا نهاية له. الأبدى الباقى على الدوام. ولا يعرف احد شكله. الله هو الحق ويعيش بالحق ويتغذى بالحق يرتكز على الحق وهو الخالق للحق. الله الخالق ولم يخلق. معطى الوجود ولم يوجده أحد. الموجود بذاته. الكائن بنفسه.المبدع لشكله"

ويجب أن لاتنسى فوق ذلك ما كان قائما بين المصريين وبين اسرائيل من صلات قديمة بسبب فتوحاتهم الاسيوية من ناحية وأقامة الاسرائيليين بين ظهرانيهم نحو ٤٠٠ سنة من ناحية أخرى، ومن الطبيعي في هذه الحالة ان يحدث بين الفريقين تقارب ذهني في عقيدة الوحدانية وهي أساس ديانة اليهود.

ثانياً ـ التثليث وكان شائعاً كل الشيوع عند قدماء المصريين حتى انة كان لكل مدينة هامة ثالوث خاص. وأهمها ثالوث أبيدوس (العرابة المدفونة بقرب جرجا) ويتألف من أوزيريس "الاب" وايزيس "الام" وحوريس "الابن" وانهم وان كانوا ثلاثة فانهم يعملون معا.

ثالثاً ـ لم تكن فكرة ابن الله من عذراء بنفحة من روحه القدوس غريبة على المصريين القدماء ففي تاريخهم أمثلة تحمل وجوها من الشبة صريحة لذلك المبدأ. وهنالك في نقوش معبد الأقصر مثال من حياة حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر، يدل على ان الكهنة كانوا يعدونه ابناً لأمون من عذراء. وتعلم كذلك ان ابيس وهو من الآلهة المصرية القومية كان يتجسد من عجلة بكر بعد حلول روح الآله فتاح فيها.

رابعاً ـ أن البحث والحياة بعد الموت ومبدأ الثواب والعقاب في عالم آخر كانت من أهم الدعائم التي قامت عليها ديانة قدماء المصريين واليها ترجع العناية الفائقة بقبورهم وتقدم فن تحنيط الجثث عندهم حتى يمكن للروح ان تعود اليها. ثم اهتمامهم بالتماثيل لتحل الروح فيها اذا ما بليت المومياء.

خامساً ـ علامة الحياة. وكان الالهة يحملونها دائها واسمها عند القدماء "عنخ" و ما هي سوى الصليب برأس مستدير.

سادساً ـ كان قدماء المصريين يستعملون الغسل او الرش بالماء المقدس، وهذا يشبه العماد

والخلاصة ان جميع هذه المبادئ التي سادت عقائد المصريين في عصورهم الأولى قد اكسبتهم مقدرة خاصة على اساغة اصول الديانة الجديدة لما شرع القديس مرقس في نصف القرن الأول الميلادي يبشرهم بها، وهي تفسر لنا سر انتشارها بينهم انتشاراً سريعاً.

الباب الثانى

الفصل الأول

ظهور الديانة المسحية

بشارة الملاك للعذراء ـ لما حان الوقت السعيد الذى دعاه بولس الرسول "ملء الزمان" (غلاطية ٤ : ٤)"أرسل الله ملاكه جبرائيل إلى عذراء يهودية من سبط يهوذا إسمها مريم وبشرها بأن المسيح مخلص العالم يولد منها. وأن الروح القدس يحل عليها. فتلد الكلمة الأزلى وتصير والدة الإلة. فقبلت البشرى فرحة وتم لها ما بشرها به الملاك.

ميلاد المسيح ـ واتفق حينئذ أن أوغسطس قيصر الإمبراطور الرومانى أصدر فى السنة الثانية والأربعين من ملكه أيام كان هيرودس الأكبر ملكا على اليهودية أمراً باحصاء السكان. كل منهم فى مدينته أو قريته التى ولد فيها. وبناء على هذا الأمر ذهب يوسف لكونه من بيت داود عشيرته إلى بيت لحم مع مريم امرأته المخطوبه وهى حبلى ولما قدما ألفياها خاصه بالمسافرين حتى أنهما لم يجدا مكانا بها لنزولهما. ولفقرهما اضطرا للنزول فى مكان البهائم بأحد خاناتها وهناك ولدت العذراء ابنها وقمطته واضجعته فى مذود البقر. وكان هذا الميلاد الإلهى العجيب فى ليلة ٢٩ كيهك على الحساب القبطى حسب تقاليد كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ظهور الملائكة للرعاة ـ وفى ليلة ميلاده ظهر ملاك لجماعة من الرعاة كانوا يحرسون قطعانهم فى الحقول المجاورة لبيت لحم. وبشرهم بميلاد المخلص. ثم رأوا بغتة جمهوراً من الملائكة مسبحين الله قائلين "المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" فترك الرعاة القطعان وذهبوا إلى المكان الذى دلهم عليه الملائكة فرأوا الطفل فى المذود وعادوا وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم "لو ٢ : ٨- ٢٠".

ختان الصبى ـ ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الطفل بحسب شريعة موسى دُعى اسمه يسوع اى المخلص كما دعاه الملاك قبل ان يُحبل به.

مجئ المجوس ـ وبعد ولادته بايام حلّ بأورشليم ركب ارتجت له المدينة كلها. وذلك ان جماعة من عظماء بلاد الشرق وحكمائها فى ذلك العصر لاح لهم فى السماء نجم غير اعتيادى عرفوا ـ بما أوتوه من العلم، وبما عرفوه من اليهود المشتتين، ومن نبوات الكتب ـ انه نجم مولود جديد هو ملك اليهود المتنبأ عنه. فعزموا على الذهاب بأنفسهم إلى حيث هذا المولود

"وقدموا له هدايا. ذهباً ولباناً ومراً" ليسجدوا له. ثم حملوا هداياهم" من الذهب واللبان والمر. وسافروا والنجم يسير أمامهم ليرشدهم فى الطريق هم ومن معهم من الخدم والحشم إلى ان جاءوا اورشليم وسألوا عن مكان هذا الملك.

من هم المجوس؟ ـ وقيل ان هؤلاء المجوس كانوا من بنى بلعام، والتقليد يدعوهم ملخيور وبلطازار وجاسبار. والراجح انهم من علماء الأمة الفارسية. وانهم كانوا من العلماء المتجرين فى معرفة حركات الاجرام السموية وحساب الازمنة.

هيرودس والمجوس ـ لما علم هيرودس ملك اليهود بأمرهم دعاهم اليه واستطلع أمرهم. فقصّوا عليه سبب مجيئهم. فداخله الخوف على ملكه من هذا المولود الجديد واضمر له الشر. ثم دعا اليه كهنة اليهود وكتبتهم وسألهم اين يولد المسيح فقالوا له فى بيت لحم اليهودية حسب النبوات. فقال للمجوس اذهبوا إلى بيت لحم ومتى وجدتم الصبى أخبرونى لكى آتى وأسجد له. وكان يقول ذلك بمكر فذهبوا والنجم يتقدمهم. ووجدوا الصبى يسوع وأمه. فسجدوا له وقدموا هداياهم.

الهرب إلى مصر ـ وفى الوقت ذاته ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف "وقال له قم خذ الصبى وأمه وأهرب الى مصر. لأن هيرودس يطلب الصبى ليقتله. ففعل كما أمره الملاك.

مذبحة أطفال بيت لحم ـ كان فى نية المجوس أن يعودوا الى هيرودس.ولكن أوحى اليهم فى حلم أن يرجعوا الى بلادهم من طريق اخرى. فلبث هيرودس ينتظر عودتهم اليه لكى يخبروه بما وجدوا. وفى أثناء ذلك تمت ايام التطهير الشرعية. فغادرت العذراء بيت لحم صاعدة الى الهيكل. وهناك حمل سمعان الشيخ الطفل على يديه. وبارك الله وكذلك حنة النبية. اما هيرودس فلما استبطأ المجوس ارسل يسأل عنهم. فعلم انهم سافروا بغير ان يعرجوا عليه. فاغتاظ وأمر بقتل جميع اطفال بيت لحم والبلاد المجاورة له من ابن سنتين فما دون. لاعتقاده ان الصبى يسوع لابد ان يكون واحداً منهم فيموت.

رحلة الأسرة المقدسة ـ اتفقت رواية السنكسار القبطى وآراء الباحثين تقريباً على ان يوسف والعذراء والصبى جاءوا الى مصر عن طريق صحراء سيناء ودخلوها من جهة الفرما (الجهة الواقعة بين بورسعيد والعريش) ومنها إلى مدينة بسطة (الآن تل قديم هو بقايا المدينة يعرف بتل بسطة بجوار الزقازيق) واتجهوا غربا فعبروا فرع النيل الشرقى عند سمنود وظلوا سائرين غرباً الى فرعه الغربى فعبروه ومروا بوادى النطرون. ومن هناك ساروا الى الوجه القبلى فنزلوا بمدينة الاشمونين. ثم مضوا الى القوصية فالى قرية ميرة (الآن مير) وهبطوا الى جهة قسقام حيث يوجد دير العذراء الشهير بالمحرق الآن. وبعد ما اقاموا به بضعة أشهر على الأرجح. ظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم. وقال له قم خذ الصبى وآمه وعد إلى اليهودية. لأن هيرودس الذى كان يطلب نفس الصبى قد مات. فقاموا وانحدروا شمالا حتى جاءوا بابليون (الآن مصر القديمة). وكان بها حى لليهود لايزال لهم فيه أثار إلى اليوم ونزلوا فى الموضع الذى فيه كنيسة القديس سرجيوس (المعروفة بكنيسة أبى سرجة)وغادروها إلى عين شمس وكانت هذة المدينة عامرة باليهود ولهم فيها هيكل كان يعرف بهيكل أويناوس. فأقامو هناك يستظلون بشجرة يقال أن موضعها حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة العذراء بالمطرية. ومن هناك انطلقوا إلى اسرائيل عن طريق مديرية الشرقية فالصحراء كما جاءوا، وبذلك تمت النبوة القائلة "من مصر دعوت ابنىّ هوشع١١ : ١ ، ومت ٢ : ١٥

وفى التقليد أنه لما دخلت الأسرة المقدسة أرض مصر انكفأت أصنامها وتحطمت، وذلك اتماماً لنبوة أشعياء القائلة "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها" اش ١٩ :١

مدة إقامة الاسرة المقدسة بمصر ـ اختلف المؤرخون فى المدة التى قضتها الأسرة المقدسة ما بين خروجها من أرض اسرائيل ويوم رجوعها من مصر. فقدّرها بعضهم بستة أشهر وبعضهم بسنة. وبعضهم بسنتين. وآخرون بأربع سنوات. ولكن الراجح انها لا تقل عن سنة ولا تزيد عن سنتين. وذلك لأنه قد تحقق أن هيرودس الذى كان يطلب قتل الصبى توفى فى السنة التى ولد فيها المسيح.

وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس تحتفل الكنيسة بتذكار مجئ السيد المسيح والعائلة المقدسة إلى أرض مصر.

حياة يسوع المسيح ـ سكن الصبى يسوع مع مريم أمه ويوسف فى الناصرة. وفى الثلاثين من عمره قَبِلَ العماد فى نهر الأردن من يد يوحنا المعمدان. وبعد أن صام أربعين نهاراً واربعين ليلة جرّب من إبلِيس وانتصر عليه ثم اختار تلاميذه الأثنى عشر. غير سبعين آخرين أرسلهم مثنى الى قرى اليهودية والجليل للتبشير. ثم أقام ثلاث سنوات وبضعة أشهر يعلم ويبشر ويصنع المعجزات المثبتة لألوهيته فيقيم الموتى. ويشفى المرضى. ويفتح أعين العميان. ويخرج الأرواح النجسة وأخيراً تآمر كهنة اليهود واشتكوه ظلماً ثم أمسكوا به وسلموه الى بيلاطس الحاكم الرومانى فقضى عليه بالموت صلبا. وكان قد رسم سر تقديس القربان (الافخارستيا و معناها الشكر) ليلة صلبه وصلب فى يوم الجمعة ٢٧ برمهات وبعد أن مكث فى القبر ثلاثة أيام قام فى الفصح وبعد أربعين يوما ارتفع الى السماء أمام تلاميذه الذين عينهم لنشر ديانته فى جميع انحاء العالم، اذ قال لهم : اذهبوا الى العالم واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. وعمدوهم باسم الآب والأبن والروح القدس مت ٢٨ : ١٩

الفصل الثانى

انتشار الديانة المسيحية فى القرن الأول

يوم الخمسين ـ بعد صعود اسيد المسيح الى السماء بعشرة أيام اى فى يوم الخمسين "البنديقوسطى" حل الروح القدس على التلاميذ فى أورشليم وزودهم بقدرة خاصة على التكلم باللغات المختلفة التى كانوا لا يعرفونها "اع٢ :١ -٩" وعلى الخطابة وعمل المعجزات.

التبشير فى فلسطين وسوريا ـ وجعل الرسل فلسطين وسوريا أول حقل من حقول تبشيرهم فعلمّوا فى أورشليم وفى كل بلاد اليهود. وضموا الوفا إلى الديانة الجديدة بعدما احتملوا فى سبيل ذلك صنوفا من الاضطهادات فسجنوا وعذبوا واهينوا. ولكنهم تمكنوا بالقوة الإلهية المعطاة لهم من نشر دعوة الخلاص فى عدة اماكن. فأسست كنائس مسيحية فى السامرة والجليل وفينيقية (التى هى الآن بلاد صور وصيداء وغزة) وفى الشام وانطاكية.

التبشير فى العالم ـ غير ان نار الإضطهاد التى أوقدها رؤساء اليهود ضد الرسل ازدادت اشتعالاً. وإلى أولئك الرؤساء على انفسهم ان يقبضوا عليهم ويوردوهم موارد التهلكة• فبعدما اقاموا يعقوب اخا الرب اسقفا على اورشليم انتشروا فى كل انحاء العالم كما أمروا لاذاعة الدعوة اتماماً للنبؤة القائلة "فى كل الارض خرج منطقهم والى اقصى المسكونة كلماتهم" مز١٩ : ٤.

اهم الجهات التى بشرها الرسل ـ ولم يمض القرن الاول حتى كان الرسل الاثنا عشر قد بشروا معظم الاقطار المسكونة فى ذلك الحين كما يرى من الجدول الآتى.

اسم الرسول	اهم الجهات التى بشرها
بطرس	انطاكية. بنطس. غلاطية. كبادوكية. بثينية (آسيا الصغرى). بابلون (مصر). قيصرية. كورنثوس. رومه.
اندراوسى	فارس. بيزنطية (الاستانة). خائية. مكدونية (اليونان)
يعقوب الكبير بن زبدى اخو يوحنا	اليهودية. السامرة. (فسطين.) اسبانيا
يوحنا	السامرة (فلسطين) افسس (آسيا الصغرى) مواضع اخرى فى آسيا.
فيلبس	اواسط آسيا.
برثولماوس	أرمينيا. الهند. اليمن. بعض جهات فى آسيا الصغرى.
متى	بلاد العرب. اثيوبيا. النوبة. الحبشة.
توما	اليهودية. فارس. الهند. الصين. الحبشة
يعقوب الصغير بن حلفى	غزة. صور. بلاد العرب.
سمعان القانوى	افريقيا. بريطانيا العظمى
يهوذا اخو يعقوب الصغير	اليهودية. السامرة. الجليل. آدوم (ما بين البحر الميت وخليج العقبة) بلاد العرب. سوريا. العراق
متياس	فلسطين. كبادوكية (اسيا الصغرى)

سفرات بولس الرسول ـ امتاز بولس الذى لم يكن من الاثنى عشر رسولاً بأعظم عمل تبشيرى فى الديانة المسيحية حيث سافر عدة اسفار بشّر فى اثنائها قبرص وانطاكية وافسس وبيسيدية ايقونية (والآن قونيه) ولسترة ودرنة وكيليكية وليكاؤنية وغلاطية (بأسيا الصغرى) وترواس (فى مكدونية) وفيلبى وتسالونيكى (الآن سالونيك) وبيريه واثينا وكورنثوس (فى اليونان) وروما عاصمة إيطاليا.

الفصل الثالث

الكتاب المقدس

ماذا يتضمن الكتاب ـ الكتاب المقدس هو مجموع الاسفار التى كتبها رجال الله القديسون بالهام الروح القدس فى اوقات مختلفة. وفيها اعلن الله مشيئته ووصاياه وما قطعه من المواعيد، وما فرضه من المثوبة والعقاب. لارشاد الناس الى خيرهم وخلاصهم، وما اتمه من عمل الفداء.

اقسام الكتاب ـ ينقسم إلى قسمين رئيسين : العهد القديم والعهد الجديد

اولاً ـ العهد القديم

يشمل اخبار العالم فى عصوره الأولى وأجياله القديمة ويتضمن شرائع اليهود الأدبية والدينية وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم : ويحتوى النبوات الموحى بها عن امور متعددة منذ سقوط الإنسان إلى نهاية العالم وأهمها النبوات الخاصة بيسوع المسيح. وبه ٤٥ سفرا منقسمة الى خمسة أقسام كبرى وهى:

(أ) ناموس موسى أو أسفار للشريعة التى كتبها موسى فى برية سيناء وعددها خمسة وهى: التكوين. الخروج. اللاويين. العدد. تثنية الإشتراع.

(ب) أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهى:

يشوع. القضاة. راعوث. صموئيل الأول (ويسمى أيضاً سفر الملوك الأول) صموئيل الثانى (ويسمى سفر الملوك الثانى) الملوك الاول (يسمى سفرالملوك الثالث). الملوك الثانى (ويسمى سفر الملوك الرابع). أخبار الأيام الأول. أخبار الأيام الثانى. عزرا. نحميا. أستير. طوبيا. المكابيين الأول. يهوديت. قصة سوسنة. الشيخين.

(جـ) أسفار شعرية وعددها ستة وهى: أيوب. المزامير. الأمثال. الجامعة. نشيد الإنشاد. مراثى أرميا.

(د) أمثال نبوية وتنقسم إلى قسمين الأول الأنبياء الكبار وعددها أربعة وهى: اشعياء. ارميا. حزقيال. دانيال. والثانى الأنبياء الصغار وعددها ١٢ وهى: هوشع. يوئيل. عاموس. عوبديا. يونان. ميخا. ناحوم. حبقوق. صفنيا. حجى. زكريا. ملاخى.

(هـ) اسفار تعليمية وعددها اثنان وهما : يشوع بن سيراخ وسفر الحكمة.

ثانياً : العهد الجديد

وهو مجموع المصنفات المقدسة التى ختم فيها ميثاق الميراث السماوى للمسيحين بأنهم ابناء الله بيسوع المسيح، وقد تحققت مواعيد وعهود هذا الميراث بموت السيد المسيح كفارة عن خطايا العالم. وبه ٢٧ سفراً منقسمة إلى ثلاثة أقسام :

(ا) اسفار تاريخية وهى : اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وسفر اعمال الرسل.

(ب) اسفار تعليمية وعددها ٢١ وهى : رسائل رومية. كورنثوس الأولى. كورنثوس الثانية. غلاطية. افسس. فيلبى. كولوسى. تسالونيكى الأولى. تسالونيكى الثانية. تيموثاوس الأولى. تيموثاوس الثانية. تيطس. فليمون. العبرانيين وهذه الرسائل الأربع عشرة كتبها بولس الرسول. ثم يعقوب وقد كتبها يعقوب الرسول أخو الرب. ثم بطرس الأولى. بطرس الثانية : وهاتان كتبهما بطرس الرسول. ثم يوحنا الأولى. يوحنا الثانية. يوحنا الثالثة : وهذه كتبها يوحنا الرسول واخيراً رسالة يهوذا وقد كتبها يهوذا الرسول.

(جـ) سفر نبوى وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى وقد كتبها يوحنا الرسول

لغات الكتاب المقدس الأصلية وترجماتها

كتب شطر عظيم من أسفار العهد القديم باللغة العبرية. وكتب العهد الجديد باللغة اليونانية.

ثم ترجم العهد القديم إلى لغات كثيرة. وأول ترجمة له هى الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية. نهض بها ٧٢ عالماً من علماء اليهود بالإسكندرية حوالى عام ٢٨٢ ق.م. بأمر بطليموس فيلادلفيوس لفائدة اليهود الساكنين فى مصر.

وقد ابتدأ الفيلسوف بنتينوس ترجمة اسفار الكتاب المقدس من الترجمة السبعينية إلى اللغة القبطية بين القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد. كما ترجم العهد الجديد إلى هذه اللغة ايضاً بين القرنين الثالث والخامس.

أما الترجمة إلى اللغة العربية فيقال إن أول ترجمة للعهدين معاً كانت عام ٧٥٠م بمعرفة يوحنا أسقف إشبيليه بأسبانيا نقلا عن اللاتينية. ومن المحتمل أن أكثر أسفار العهد القديم التاريخية ترجمت من اللغة السريانية إلى العربية نحو القرن الثالث عشر أو الرابع عشر.

ولا يعرف الزمن الحقيقى لترجمة العهد الجديد إلى اللغة العربية. ولعل الأناجيل الأربعة ترجمت فى القرن السابع والباقى فى الثامن والتاسع. وكان بعض هذه الترجمات من اليونانية أو السريانية أو القبطية.

ومما يجب ذكره أن أبناء العسال الذين كانوا من علماء القبط فى القرن الثالث عشر للميلاد اشتغلوا فى مراجعة الأناجيل الأربعة والرسائل فى اللغات القبطية واليونانية والسريانية والعربية. وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها بخطوطهم فى نسخة كانت موجودة فى خزانة البطريرك السابق ومحفوظة الآن بالمتحف القبطى.

وفى القرن السابع عشر شرع الآب سركيس الرزى مطران دمشق مع نفر من العلماء فى جمع عدة نسخ عربية وقابلوها بنسخ عبرية ويونانية، ونقحوا النسخة التى طبعت فى رومه سنة ١٦٧١.

وترجم الكتاب كله المعلم فارس الشدياق وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ ثم طبع العهدان سنة ١٨٥٧ فى لندن.

وفى سنة ١٨٥٦ ظهرت الطبعة الأولى للكتاب المقدس بعناية القس غالى سميث المرسل الاميركى وبمساعدة المعلم بطرس البستانى والدكتور كرنيليوس فنديك فى مدينة بيروت، وهى الأكثر شيوعا فى الأقطار العربية فى الوقت الحاضر.

وقد تمت الترجمة اليسوعية بعناية الرهبان اليسوعيين فى بيروت فى ثلاثة مجلدات سنة ١٨٧٦.

الفصل الرابع

تراجم الرسل

قسمنا الرسل إلى ثلاثة أقسام: الانجيليين. وكتبة الرسا ئل. وباقى الرسل

القسم الأول ـ الانجيليون كتبة الأناجيل الأربعة

(١) متى البشير ـ ويدعى أيضا لاوى بن حلفى من قانا الجليل وهو أحد الرسل الأثنى عشر وكان من العشارين (جباه العشور) للدولة الرومانية فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها. وكانت هذه الوظيفة محتقرة جداً من اليهود. لأنها من جهة تلجئ محترفها إلى الظلم ومن جهة اخرى تشير إلى الخضوع لسيادة أجنبية. ولكن السيد المسيح اختاره تلميذاً من تلاميذه كما هو مذكور فى انجيله (مت٩ : ٩) ولما صعد السيد إلى السماء جال للتبشير فى بلاد كثيرة. ثم انتقل إلى النعيم فى سنة ٧٠م ببلاد الحبشة أثر ضرب مبرح انزله به أحد جنود ملك الحبشة. وفى رواية أخرى إنه طعن برمح فى سنة ٦٢ بعدما قضى نحو٢٣ سنة مبشراً بأثيوبيا كما هو الراجح، وكتب انجيله باللغة العبرية. وعثر بنتينوس رئيس مدرسة الإسكندرية اللاهوتية على نسخة فى بلاد اليمن عندما أوفده البابا ديمتريوس فى مهمة إلى الهند فاحضرها معه إلى الإسكندرية.

(٢) مرقس البشير ـ ستأتى ترجمته فى فصل (دخول الديانة المسيحية ديار مصر) وكتب انجيله باليونانية

(٣) لوقا البشير ـ ولد فى انطاكية ودرس الطب ونجح فى ممارسته. وكان مرافقا لبولس الرسول فى أسفاره وأعماله وهو كاتب سفر أعمال الرسل. ويروى بعضهم انه استشهد فى حكم نيرون. ويقول البعض الآخر إنه انتقل الى النعيم فى مدينة بتراس (بلاد اليونان) سنة ٧٠م وكتب انجيله باليونانية.

(٤) يوحنا البشير ـ ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل. وهو ابن زبدى وسالومى واخو يعقوب الكبير. وقد كان السيد المسيح يحبه. حتى انه استودعه والدته وهو فوق الصليب. وفى أيام الأضطهادات الأولى نفاه القيصر دومتيانوس إلى جزيرة بطمس وهناك تلقى مناظر الرؤيا ثم عاد الى أفسس ولبث يبشر بها حتى توفى شيخاً. وكان فى أواخر أيامه قد ضعف حتى عجز عن الوعظ. فلم يجد ما يقوله لسامعيه الا "ليحب بعضكم بعضا" ولما أظهر بعض المؤمنين مللهم من تكرار هذه العبارة

قال لهم :" ان هذه هي وصية الرب العظمى أذا أتممناها فقد أتممنا كل الوصايا"

وكتب انجيله ورسائله الثلاث وسفر الرؤيا باللغة اليونانية.

القسم الثاني ـ كتبة الرسائل

(١) بولس الرسول ـ ولد في طرسوس بآسيا الصغرى من أبوين يهوديين. وتضلع من الناموس (الشريعة) على يدى غمالائيل أشهر علماء اليهود في عصره. ولما اهتدى الى المسيحية بالحادثة المدونة في الأصحاح التاسع من أعمال الرسل خصص لتبشير الأمم فطاف عشرات من المدن في أسيا الصغرى وبلاد اليونان واحتمل في سبيل ذلك اضطهادات كثيرة. وقد كتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية تدل على مبلغ علمه وغيرته. وأسس عدة كنائس في قارتي أسيا وأوروبا وزارها مرارا. ويقال انه زار أسبانيا وبلاد غالة (فرنسا) وبريطانيا وأقصى تخوم المغرب. واستشهد أخيراً بقطع رأسه في رومه في ملك نيرون سنة ٦٥م.

(٢) يعقوب الرسول الملقب بالصغير هو يعقوب بن حلفى أخو متى البشير ويدعى بالصغير تمييزاً له عن يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الإنجيلي. وهو أول أسقف لكرسى أورشليم وكان لشهرته بالطهارة يعرف بيعقوب البار. وقداغتاظ منه رؤساء اليهود فحكموا عليه بالموت في مجمعهم فمات رجماً سنة ٦٢. وله رسالة كتبها سنة٦١م.

(٣)بطرس الرسول ـ ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل واسم أبيه يونا. وكان اسمه الأصلي سمعان ومهنته صيد السمك. ومن البلاد التي جال فيها للتبشير انطاكية حيث رسم أسقفا عليها. ولم يؤسس بطرس كنيسة روما بل اسسها بولس سنة ٦١م. بدليل انه حتى سنة ٥٨ تاريخ كتابة رسالة بولس الى روما لم تكن قد أسست بها كنيسة كما يؤخذ من هذة الرسالة. ولم يذهب بطرس إلى روما إلا سنة ٦٤. وهناك زج في السجن وحكم عليه بالموت صلبا سنة ٦٥. فطلب أن يصلبوه منكسا لأنه كان قد حاول الخروج من روما فرارا من الإضطهاد، فكل ما قيل عن الرسول بطرس من أنه أسس كنيسة رومية وساسها ٢٥سنة لا سند له لا من الكتاب المقدس ولا من التقليد الصحيح. وكذلك لا دليل في الانجيل على أن السيد المسيح أقامه رئيساً للرسل. بل أن السيد بالعكس أبى عليهم أن يطلبوا الرياسة. ولم يميزوا احداً منهم عن الآخر في شيء. وله رسالتان.

(٤) يهوذا الرسول ـ ويدعى أيضا لباوس ولقب تداوس وكان أخا يعقوب الصغير. مات شهيداً في بلاد العجم بيد المجوس وله رسالة واحدة.

(٥) يوحنا الرسول ـ وقد مر ذكره في الانجيليين وله ثلاث رسائل وسفر الرؤيا.

القسم الثالث ـ باقي الرسل الأثنى عشر

(١)متياس الرسول ـ ولد في بيت لحم وانتخب مع الأحد عشر رسولا بعد صعود السيد بدلاً من يهوذا الأسخريوطي "اع ١ : ٢٦"وقد مات رجماً بحكم رئيس أحبار اليهود سنة ٦٠م.

(٢) فيلبس الرسول ــ من بيت صيدا بالجليل. ويقال انه هو الذى طلب من السيد المسيح أن يأذن له أن يمضى ليدفن أباه. فقال له يسوع "دع الموتى يدفنون موتاهم مت ٨: ٢٢" وقد مات مصلوبا فى مدينة ايروبيس بولاية فريجية (آسيا الصغرى) سنة٨٧ م.

(٣) برثولماوس الرسول ــ من قانا الجليل. وقال الآباء المفسرون أنه هو نثنائيل الذى دعاه فيلبس ليرى المسيح وقال عنه السيد انه اسرائيلى لا غش فيه ومن البلاد التى بشر فيها مدينة لوكانيا بقرب قزبين حيث حرض كهنة اليهود أعيان المدينة عليه فصلبوه ثم سلخوا جلده وقطعوا رأسه.

(٤) سمعان الرسول ــ هو الملقب بسمعان القانوى نسبة الى قانا الجليل. ويقال انه جاء الى مصر ثم ذهب الى افريقية فبلاد الانكليز، فالعجم وهناك التقى به يهوذا الرسول وكانت العجم فى حرب مع الهند فتنبأ الرسولان للقائد بأن الهند سترسل اليه فى اليوم التالى رسلا يطلبون الصلح، وذلك تكذيبا لما زعمه كهنة الاصنام وتم ما تنبأ به فآمن القائد بالمسيح على يديهما. وفيما هما يبشران تألب عليهما الكنهة وحرضوا الشعب على قتلهما. فنشروا سمعان الرسول من وسطه بمنشار وقطعوا رأس يهوذا.

(٥) اندراوس الرسول ــ هو أخو بطرس الرسول. طاف العجم وآسيا الصغرى وذهب الى بوزنطة (القسطنطينية) وبتراس باليونان. وفيما هو يبشر فيها بالإنجيل جاء حاكم البلاد وأخذ يضطهد المسيحين فتقدم اليه الرسول ووبخه فأمر بضربه وتعليقه على صليب ليموت فعلقوه وربطوه ولم يسمروه لأن الشعب انتصر له وبعدها ظل هكذا يومين والشعب يصرخ طالبا انزاله من فوق الصليب. أراد الجنود انزاله فلم يستطيعوا ثم فاضت روحه فأخذت سيدة تقية اسمها مكسيميلية جسده وحنطته ودفنته.

(٦) توما الرسول ــ ولد فى الجليل وهو التلميذ الذى شك فى قيامة السيد المسيح من القبر ولم يؤمن الا بعد ما وضع يده فى أثر المسامير. وقد أسس كنيسة الهند. وهناك قام عليه عبدة الأوثان وأماتوه طعنا بالحراب. ودفن جسده فى مليابور. وأقام البرتغاليون بالقرب من قبره مدينة فى الجيل السادس عشر دعوها سان توما ولم يزل مسيحيو مليابور بالهند تابعين للكرسى الانطاكى للسريان الأرثوذكس.

(٧) يعقوب الرسول الملقب بالكبير ــ هو أخو يوحنا الانجيلى من بيت صيدا بالجليل وقيل انه كان من تلاميذ يوحنا المعمدان وانه احد اثنين أرسلهما يوحنا المعمدان إلى السيد المسيح ليسألاه. "أأنت المسيح أم ننتظر آخر" وقد بشر بعد صعود المخلص فى اليهودية وبلاد السامرة الى حين استشهاد اسطفانوس. ثم انطلق الى اسبانيا وبشر بها وبنى كنيسة بأحدى مدنها باسم السيدة العذراء، وعاد إلى اليهودية فخنق عليه اليهود وسلموه الى هيرودس اغريبا ملكها. ونظراً لان هذا الملك كان مكروهاً من اليهود ويريد أن يسترضيهم فقد سلم الرسول اليهم فحكموا بقطع رأسه وقد استشهد معه الجندى الذى قبض عليه وذلك قرب عيد الفصح من سنة ٤٣م.

الباب الثالث ـ مصر المسيحية

الفصل الأول

دخول الديانة المسيحية ديار مصر

مرقس الرسول

اسم هذا الرسول يوحنا ويلقب بمرقس وهو أحد الانجيليين الأربعة. لم يكن من الأثنى عشر تلميذاً. وعلى يده دخلت الديانة المسيحية ديار مصر فى القرن الأول.

تاريخه ـ أصله من اليهود سكان الخمس مدن الغربية وهاجر والداه ارسطوبولس ومريم إلى فلسطين موطن أجدادهما وسكن أورشليم فى وقت ظهور السيد المسيح، وكان مرقس من أوائل الذين قبلوا دعوته فاصطفاه من جملة السبعين رسولا. وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته. وأنه فى هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه وفى إحدى غرفة حلّ الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين. وجاء فى سفر الأعمال ـ أن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون فى بيته "اع ١٢ : ١٢"

الجهات التى بشرها ـ رافق مرقس بولس الرسول وبرنابا خاله إلى انطاكية حوالى سنة ٤٥م وذهب معهما إلى قبرص ثم إلى بعض جهات أسيا الصغرى. ولما جاءوا الى برحة بمفيليه تركهما هناك وعاد إلى أورشليم وقد ذهب ثانية مع خاله برنابا الى قبرص وهناك افترقا. فقصد مرقس شمالى أفريقيا وحده حيث بشر الخمس مدن الغربية سنة ٥٢.

مجيئه الى مصر ـ وبعد منتصف القرن الأول قصد الى الديار المصرية عن طريق الصحراء الغربية فمرّ أولا ببعض بلاد الوجه القبلى ومنها الى بابيلون فأقام حتى سنة ٥٨م ثم غادرها إلى الأسكندرية فى سنة ٦١ م وأخذ يبشر فيها بالمسيح.

الاستعداد لقبول البشارة ـ لم تكن أخبار ظهور الديانة المسيحية مجهولة من أهل الاسكندرية قبل أن يذهب اليها مرقس. بل الثابت أن كثيرين من سكانها اليهود كانوا قد زاروا أورشليم فى عيد الفصح وسمعوا بمحاكمة السيد المسيح وصلبه وقيامته بل أن منهم من بقى بها الى صعوده وحلول الروح القدس على تلاميذه "اع ٢ : ٥، ١٠" ولما عادوا الى الأسكندرية اخبروا بما سمعوا وبما رأوا.

وكانت الأسكندرية مأهولة بعدد كبير من اليهود واليونانيين وكانت بين اليونانيين والمصريين عداوة دينية. فاليونانيون يسخرون بخرافات الفراعنة. والمصريون يمقتون وثنية اليونان. أضف الى ذلك ما كانت الديانتان مشوبتين به من أنواع الفساد بحيث كانت الظروف مناسبة للتبشير بديانة جديدة طاهرة تعلم بإله واحد كالديانة المسيحية. وساعد على ذلك ما كان باقيا فى الطبقة المتعلمة من المصريين من أثر الأعتقاد بوحدانية الإله كما ذكرنا وأهم من هذا أن لوقا البشير كان قد كتب انجيله الى أحد أغنياء الاسكندرية وهو العزيز ثاوفيلس وذلك فى سنة ٦٣ م.

نجاح مرقس ـ لما ألقى مرقس البذار وجد أرضاً مهيأة فآمن بدعوته عدد كبير من الرجال والنساء. وأول من قبل البشارة اسكاف اسمه انيانوس. وذلك أن مرقس لما وصل إلى الأسكندرية كان حذاؤه قد تهرأ من طول المسير. فمال الى هذا الاسكافى يصلحه. فحدث بينما كان الرجل قائما باصلاحه أن دخل المخرز فى يده فأدماها فصاح مستغيثا بما ترجمته "يا الله الواحد". فانتهز مرقس هذه الفرصة وبعد ما أبرأ له جرحه أخذ فى الحال يعلمه عن هذا الإله الواحد. وكان ذلك سبب التعارف بينهما فدعاه الاسكاف الى بيته وجمع له أصحابه وجيرانه فبشرهم الرسول بالمسيح وعمدهم بعدما آمنوا. وبهذه الخميرة الصغيرة اختمر العجين كله.

ذهابه إلى رومه ـ لما رأى الوثنيون بوادر نجاح الرسول حنقوا عليه وصاروا يتربصون به الدوائر. أما هو فأقام انيانوس أسقفا واقام معه قسوسا وشمامسة ووضع قداساً للصلاة هو أصل القداسات المستعملة الآن وسافر إلى أفسس حيث تيموثاوس ورجع الى رومه بناء على طلب بولس اياه. ولم يتركها هذه المرة إلا بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس فى سنة ٦٥ فعاد إلى الديار المصرية واستأنف عمل الكرازة. وقد جال فى البلاد مبشراً وهاديا إلى ملكوت الله حتى كثر عدد المؤمنين.

إنجيل مرقس ـ قال القديس بابياس تلميذ القديس بوليكربوس أسقف أزمير أو أول من سطر حوادث وعجائب السيد المسيح هو مرقس الرسول، وقال القديس ايريناوس أسقف فرنسا وتلميذ بوليكربوس أيضاً أن بطرس وبولس بشّرا فى رومه وأسسا فيها الكنيسة وبعد انتقالهما من هذا العالم عاود مرقس لسان حال بطرس وتلميذه كتابة انجيله الذى كان تزود مواضيعه من كرازة معلمه. وهذه شهادة قديسين عاصرا القديس يوحنا الرسول. وقال يوحنا ذهبى الفم "أن القديس مرقس الرسول كتب أنجيله فى مصر وقيل أنه كتبه فى بابليون مصر حوالى سنة ٥٨ قبل توجهه للأسكندرية وقد أجمع الكل على أنه كتب الإنجيل باليونانية لمنفعة الأمم الذين بشرهم.

وبعدما أسس القديس مرقس المدرسة اللاهوتية المسيحية فى الاسكندرية وأقام العلامة يسطس رئيسا لها ذهب إلى الخمس مدن الغربية لتثبيت المؤمنين بها. ثم رجع إلى الأسكندرية وكان قد تغلغل فى قلوب الوثنيين الحقد على المسيحية التى زعزعت أركان ديانتهم فنووا بالرسول الغدر ففى أحد الفصح أى عيد القيامة الذى وقع فى ٢٦ أبريل سنة ٦٨ ميلادية بينما كان المسيحيون يحتفلون بالعيد فى كنيستهم هاجمهم الوثنيون وقبضوا على القديس ووضعوا حبلا فى عنقه وأخذوا يجرونه فى الطرق وفى ساحات المدينة حتى تمزق لحمه ونزف دمه. وما زالوا به على هذا الحال إلى المساء فأودعوه السجن وفى اليوم التالى عادوا اليه وأخذوا يطفون به على الصورة المتقدمة حتى أسلم الروح فاجتمع المسيحيون حينئذ وأخذوا جسده وكفنوه ووضعوه فى تابوت ودفنوه فى قبر نحتوه له فى نفس الكنيسة.

سرقة جسده ـ وبقى الجسد مدفونا فى الاسكندرية بدير اسفل الارض الذى به كنيسة المغارة التى احتفظ بها الملكيون بعد الانشقاق الى القرن التاسع للميلاد عندما جاء بعض البحارة البندقيين فسرقوه من حراس الملكيين وأخذوه معهم إلى البندقية دون الرأس حيث لا يزال موجودا بها إلى اليوم. وتعيّد الكنيسة لذكرى استشهاده فى ٣٠ برمودة ـ ٨ مايو من كل عام.

أما رأس القديس فأختصت بها الكنيسة القبطية وحفظتها بالكنيسة المرقسية الكبرى المشيدة بجوار كنيسة المغارة ببوكليا ولم تزل محفوظة بها للآن فتمت بذلك نبوة أشعياء عن القديس مرقس وجعله مقر كنيسته على تخوم مصر بالاسكندرية حيث يقول "فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخومها ١٩ : ١٩".

الفصل الثانى

مصر فى حكم الدولة الرومانية

دخلت مصر تحت حكم الدولة الرومانية فى سنة ٣٠ ق م فى عهد أوغسطس قيصر، وكان يحكمها ولاة من قبل هذه الدولة لإدارة شئونها المالية والعسكرية، وقد أشرقت أنوار المسيحية فيها فى منتصف القرن الأول للميلاد على يد القديس مرقس الرسول وازدهرت على أيدى خلفائه باباوات الكرسى الاسكندرى وغيرهم من عظماء الرجال، وفيما يلى بيان لبعض أعمال البارزين منهم وأشهر الحوادث فى القرون السبعة الأولى أى مدة حكم الدولة الرومانية :

القرن الأول

انيانوس ـ (٦٢ – ٨٢) هو أول أسقف أقامه مرقس على كنيسة مصر سنة ٦٢م. ولو أنه يعد الثانى بعد مرقس فى عداد باباوات الاسكندرية، وقد بنى أول كنيسة مسيحية للعبادة فى الأسكندرية وهى التى قبض فيها على القديس مرقس عند استشهاده وكان بناؤها فى مكان يدعى بكوليا أى دار البقر فى البقعة التى بها الكنيسة القبطية فى الأسكندرية الآن تقريباً، ثم أنه أهتم بالدرسة اللاهوتية التى أسسها القديس مرقس وجدّ فى اعلاء منارها . وقد نمت المسيحية فى مصر على يديه كثيراً وكان انتقاله إلى دار الخلود سنة ٨٢م.

القرن الثانى

يوليانوس الأسقف الحادى عشر ـ (سنة ١٧٨ ـ ١٨٩م) من أعماله أنه وضع سيراً (ميامر) للاساقفة اسلافة. وفى التقليد ان هذا الأسقف لما دنت منيته ألهم بأن يختار للاسقفية بعده الرجل الذى يأتيه بعنقود من العنب. وفعلا زاره كرام قبطى أمى اسمه ديمتريوس ومعه عنقود عنب من باكورة ثمار كرمه، حمله هدية للأسقف ولم يكن الوقت وقت جنى هذه الفاكهة وكان لدى الأسقف فى تلك الساعة بعض من وجهاء الشعب فخبرهم بالامر وأوصاهم بأن يختاروا هذا الرجل خلفاً له ففعلوا كما أوصاهم.

ديمتريوس الأسقف الثانى عشر ـ (١٨٩ ـ ٢٢٢م) اختير للأسقفية وعمره ٦٣ سنة. فانكب على تحصيل العلم حتى نال منه قسطا وارفا. ومن أعماله انه أوفد العلامة بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية إلى الهند فبشر فيها بالمسيح. وفى عهده وضع الحساب المشهور .... أو حساب الكرمة نسبة إليه. وهو من وضع بطليموس الفلكى الفرماوى صاحب كتاب المجسطى. وكاتب هذا الأسقف أساقفة الكنائس المسيحية فى أورشليم وروما وانطاكية لتوحيد عيد القيامة عند جميع المسيحيين، وكان

يبعث اليهم بتصويم صحيح يدل على دقة الحساب.

وهذا الأسقف هو أول من رسم أساقفة لجهات القطر المصرى وهو الذى عقد مجمعا بالأسكندرية حاكم فيه العلامة أوريجانوس ولما وقع على مصر اضطهاد القيصر الرومانى ساويرس نفى الأسقف ديمتريوس إلى أوسيم من.أعمال أقليم الجيزة ولم يعد من منفاه إلا بعدما زال الاضطهاد ثم انتقل إلى النعيم سنة ٢٣٣م.

الفيلسوف بنتينوس ـ ولد بالأسكندرية فى أوائل القرن الثانى وتولى إدارة المدرسة اللاهوتية عشر سنوات آخرها سنة ١٩٠ولما ارتقى ديمتريوس الكرسى سنة ١٨٩م أرسله إلى الهند مبعوثا من قبله.

والفيلسوف بنتينوس هو الذى هذب اللغة القبطية بأن نقلها من الخط الهيروغليفى الى شكلها الحاضر لسهولة الكتابة بها. وترجم أسفار الكتاب المقدس إليها. ولكن جميع مؤلفاته فقدت.

العلامة أكليمنضس الاسكندرى ـ ولد سنة ١٦٠م من أبوين وثنيين وتفوق فى الفلسفة واعتنق الديانة المسيحية بارشاد الفيلسوف بنتينوس واشتهر بالتضلع فى معرفة الكتب المقدسة وعهدت اليه ادارة المدرسة اللاهوتية سنة ١٩٠م بعد سفر بنتينوس الى الهند وظل يديرها حتى سنة ٢٠٢م ابان اضطهاد القيصر ساويرس. فتركها وسافر إلى أورشليم وانطاكية ثم عاد إلى الأسكندرية بعد أن استتب فيها السلام. وبقى بها الى حوالى سنة ٢٢٠م

ولهذا العلامة كثير من المؤلفات. منها ثلاثة مصنفات كاملة لا تزال موجودة وهى :

(١) دعوة للامم الوثنية الى عبادة الإله الحق (٢) كتاب المرشد أو المربى. فى ثلاثة أجزاء وموضوعه تثقيف عقول حديثى الإيمان بمعرفة الإنجيل (٣) المتفرقات فى ثمانية مجلدات وهى عبارة عن مجموعة مقالات فى موضوعات فلسفية وحقائق انجيلية وقد فقد منها المجلد الثامن. وله عدا ذلك بضعة مؤلفات فى الموضوعات الآتية. عيد الفصح. الصوم. النميمة. الصبر. القوانين الكنسية الخ...

القرن الثالث

ياركلاس البابا الثالث عشر ـ (٢٣٢ ـ ٢٤٧م) ـ كان مشهوراً بقوة الحجة ومتانة الاسلوب فى وعظه. وكان تلميذاً من تلاميذ المدرسة اللاهوتية فى أيام مديرها العلامة أوريجانوس وقد خلفه على رياستها. ثم أرتقى الى الاسقفية خلفا لديمتريوس ورسم عشرين أسقفا لابرشيات القطر، ولفرط محبة الشعب له وتمييزا بين لقبه ولقب الاساقفة مرؤوسيه أطلق عليه لقب بابا وهو أول من دعى بهذا اللقب من أساقفة الأسكندرية ولا يزال يدعى به بطاركة الكرسى المرقسى الى اليوم. وقد شهد افتيخوس أسقف الروم الملكيين ونقل عنه ابن الراهب وساويرس ابن المقفع والمقريزى. ان القبط هم أول من دعوا أساقفته باباوت. واستعمل هذا اللقب أساقفة افريقية وأساقفة رومه بعد ذلك.

وفى أيام هذا البابا وقع اضطهاد على المسيحيين

ديونيسيوس البابا الرابع عشر ـ (٢٤٧ ـ ٢٦٥م) كان من الصائبة (عبدة الكواكب) وكان

فيلسوفاً شهيراً وطبيباً ماهراً اهتدى إلى الديانة المسيحية أثر قراءته بعضا من رسائل بولس الرسول وقد باعته إياها عجوز وبعدما عمّده الأسقف ديمتريوس انخرط فى سلك تلاميذ المدرسة اللاهوتية فى عهد اوريجانوس. ولما توفى ديمتريوس وخلفه البابا ياركلاس رقى صاحب الترجمة مديره للمدرسة ولما مات ياركلاس انتخب بابا مكانه. وفى ايامه حدث الاضطهاد الذى اثاره القيصر ديسيوس على المسيحيين فنفى الى مريوط وبعد موت القيصر عاد من منفاه وفى سنة ٢٥٧ كان اضطهاد القيصر فالريانوس فقبض والى الاسكندرية على البابا ديونيسيوس ونفاه الى ليبيا ولما رجع من منفاه الثانى كان قد نحل جسمه وضعفت قوته من كثرة ما أصابه وأصاب شعبه من المحن والهموم فانتقل الى النعيم بعد ما قضى ١٧ سنة فى كرسى الباباوية.

وفى مدة حبريته ظهرت عدة بدع كلها تجديف على الثالوث الأقدس فقضى عليها برسائله وأقواله. ولما اختلفت الكنائس فى أمر الذين أنكروا إيمانهم بسبب الأضطهادات وهل يقبلون فى حضن الكنيسة ثانية أم لا، كان من رأى ديونيسيوس ان تقبل توبتهم ويعادوا الى حضن الكنيسة، ومما يذكر له محافظته على وحدة الكنيسة وخوفه عليها من الانشقاق. وله فى ذلك نصائح غالية كتبها لأساقفة روما. ووضع ديونيسيوس عدة مؤلفات نفيسة كانت من خير المصادر للتاريخ الكنسى. وانتقل الى النعيم سنة ٢٦٥ ميلادية.

تاؤنا البابا السادس عشر ـ (٢٨٢ ـ ٣٠٠م) ـ هو الذى أقام أول كنيسة كتدرائية. وذلك لأن المسيحيين من عهد مرقس الرسول أيام هذا البابا كانوا يقيمون شعائر عباداتهم فى كهوف الأرض ومغاورها. ولم يكن فى الأسكندرية إلا المعبد الصغير الذى اقامه انيانوس حيث لم يجسروا بسبب الاضطهادات على اقامة الصلوات فيه.

ومن محاسن اعمال هذا البابا انه لما ارتقى القيصر ديوكلتيانوس العرش وأدخل فى معيته كثيراً من المسيحيين كان يبعث اليهم الرسائل الرعوية حاثا إياهم على الولاء لقيصرهم ولو أنه وثنى، وعلى تأدية الواجب عليهم بالأمانة والاستقامة والنزاهة مبتعدين عن الرشوة والكذب، وفى آخر أيامة بدأ الاضطهاد المريع الذى أثاره ديوكلتيانوس المشار اليه وانتقل البابا تاؤنا الى النعيم سنة ٣٠٠م

ومن أشهر رجال القرن الثالث :

الفيلسوف أوريجانوس ـ (١٨٥ ـ ٢٥٤م) ـ كان أوريجانوس مصرى الجنس ولد من أبوين مسيحيين وتلقى الفلسفة على اكليمنضس الاسكندرى وأمونيوس مؤسس المدرسة الفلسفية، ولما استشهد أبواه فى الأضطهاد الذى أثاره القيصر ساويرس فى أيام الأسقف ديمتريوس وصودرت ممتلكاته كفلته احدى المحسنات مدة الاضطهاد وكان إذ ذاك فى السابعة عشر ولكنه كان ذا مواهب نادرة وذكاء خارق. ولم تكد نار الاضطهاد تخبو حتى ذاع فضله فقربه ديمتريوس اليه ولما تحقق من نبوغه وغيرته الدينية أسند إليه رياسة المدرسة اللاهوتية خلفا لاستاذة أكليمنضس وهو فى الثامنة عشر. فعمل لترقيتها حتى أقبل عليها لا المسيحيون وحدهم بل الوثنيون كذلك. وقد هدى من هؤلاء كثيرين الى المسيح فاغتاظ الحكام ورؤساء الوثنيين منه. ولكنه لم يبال بهم بل جدّ فى التعليم والتبشير داخل

المدرسة وخارجها. واشتهر بالسيرة الصالحة والزهد الشديد فى حياة الترف. ومن فرط خوفه على عفته من الفساد خصى نفسه. فاعتبره طلاب الفلسفة فى ذلك العصر الفيلسوف الحقيقى الذى يطابق قوله فعله. ونبذوا غيره من الفلاسفة.

وفى سنة ٢١٢ زار رومه وقوبل فيها بكل حفاوة لسمو منزلته العلمية. وما كاد يعود إلى الأسكندرية حتى كان أعداؤه قد كثر عددهم فيهجوا عليه القيصر كاراكلا سنة ٢١٥ فلجأ إلى فلسطين. وكانت شهرته قد سبقته اليها. فاستقبله أسقف أورشليم وأسقف قيصرية بالترحيب. وسمحا له بأن يعتلى منبر الوعظ بصفة استثنائية اذ لم يكن مسموحا آنئذ بالقاء الوعظ الا لاصحاب الرتب الكهنوتية. ولقبه هذان الاسقفان "بأمير شراح الكتاب" وكان أسقف قيصرية الكبادوك (آسيا الصغرى) قد دعاه اليه. فلما استبطأه ذهب بنفسه إلى فلسطين ليستقى من بحر علمه وبعدما اقاما مدة فى فلسطين سافر الى بلاد العرب لمقاومة بدعة ظهرت فيها مؤداها "ان النفس تموت مع الجسد".

وفى سنة ٢٢٦ دعته والدة القيصر اسكندر ساويرس الى انطاكية لتسمع وعظه وبقى عندها مدة محلا لاكرامها وفى سنة ٢٢٨ دعى الى اخائية ببلاد اليونان لمحاجة الهراطقة "الملحدين" ولما رجع منها مر بفلسطين فرسمه اسقف قيصرية قسا فلما سمع ديمتريوس اسقف الاسكندرية بذلك عقد مجمعا بالأسكندرية وحكم على اوريجانوس بقطعة من وظيفته الكهنوتية لسببين : الأول لأنه خصى نفسه والثانى لأنه قبل الرسامة فى كرسى خلاف الكرسى التابع له. وأقام مكانه على رياسة المدرسة اللاهوتية تلميذه ياركلاس الذى كان أوريجانوس نفسه قد جعله وكيلا له فى رياسته أثر عودته من رومه.

وكان هذا الحكم سببا فى أن أوريجانوس هجر وطنه الى فلسطين نهائيا وأسس فى قيصرية مدرسة لاهوتية، وصار يعلم فيها فاعتنق المسيحية بواسطته كثيرون، منهم غريغوريوس صانع العجائب. ولما أقيم ديونيسيوس بطريركا وكان شديد التعلق بأستاذه أوريجانوس دعاه للقدوم إلى الأسكندرية ولكنه فضل البقاء فى فلسطين. وطاف تلك البلاد مبشرا وذهب مرة ثانية إلى بلاد العرب لمقاومة بدعة أخرى مؤداها "أن الأقنوم الثانى (الابن) لم يكن موجوداً قبل التجسد".

ولما حدث اضطهاد القيصر ديسيوس كان أوريجانوس ممن ذاقوا فيه مر العذاب اذ طرح فى السجن مشدود الوثاق. وبقى هكذا يلقى صنوف الارهاب والحرمان الى أن أطلق سبيله بعد موت ديسيوس سنة ٢٥١ . فاستأنف التبشير وعاد إلى كتابة الرسائل وتصنيف المؤلفات مما كان قد بدأه مدة وجوده بالأسكندرية عندما كان صديقه أمبروسيوس أحد أغنيائها يمده بماله وينفق عليه عن سعة تمكينا له من التفرغ للتاليف حتى انه أعد له عدداً من الكتاب والكاتبات يملى عليهم ما تجود به قريحته الوقادة.

ولبث بعد خروجه من السجن عاملا مجدا الى ان انتقل الى دار البقاء سنة ٢٥٤م فى مصور بفلسطين وعمره ٦٩ سنة فاهتم المسيحيون هناك بجسده ودفنوه بالمكان الذى مات فيه. وأقاموا فوق قبره كنيسة. ولما علم ديونيسيوس بابا الأسكندرية بوفاته ارسل الى اسقف قيصرية رسالة ينوه فيها بمآثر

اوريجانوس على الكنيسة أما الكتب التى ألفها هذا الفيلسوف العظيم فكثيرة منها ما كتبه فى شرح اسفار الكتاب المقدس وردوده على فلاسفة الوثنيين. وما كتبه فى موضوعات اخرى. وقد جمع ترجمات الكتاب المقدس فى اربع وخمس وست وثمان لغات الى مجلد واحد. وقد نسب الى اوريجانوس انه وقع فى بعض اغلاط فى العقائد.

القرن الرابع

بطرس الأول البابا السابع عشر ـ (٣٠٠ – ٣١١م) كان من تلاميذ المدرسة اللاهوتية ثم من مديريها ولما ارتقى الكرسى البطريركى خلفا لثاؤنا كان اضطهاد القيصر ديوكلتيانوس فى ابان شدته. فكان هذا البابا يطوف البلاد مثبتا المسيحيين فى الإيمان. فوق ما كان يكتبه من الرسائل لتنفيذ العبادة الوثنية. واتفق انه لما وصل فى طوافه الى أسيوط وجد اسقفها ملاتيوس قد زاغ عن الحق وسجد للأوثان. فنصحه فلم ينتصح. فلما عاد إلى الأسكندرية عقد بها مجمعا سنة ٣٠٦ وحكم فيه بقطع هذا الأسقف ومن تبعه.

وفى هذه الأثناء ظهر رجل آخر اسمه (اريوس) كان قسا واسع الاطلاع غزير المادة فى العلوم الدينية من خريجى المدرسة اللاهوتية. هذا القس ضل عن الحق اذ أخذ يعلم بأن أقنوم الابن غير مساو لأقنوم الآب فى أزليته. فجرده البابا بطرس من كهنوته وحارب بدعته التى استمرت تقلق راحة الكنيسة الجامعة القرن الرابع بطوله كما سيجئ وملك القيصر مكسيمانوس بعد ديوكلتيانوس فأذاق المسيحيين كؤوساً مرة من الإضطهاد حيث قتل منهم الوفا كثيرة وخرب كنائسهم. وأخيراً أمر بالقبض على البابا بطرس وزجة فى السجن ثم أمر بقطع رأسه سنة ٣١١ وبموته اطفئت نيران الإضطهاد. فدعى لذلك "خاتم الشهداء" ولهذا البابا عدة مؤلفات أهمها شذرات عن عيد الفصح وعن تجسد الكلمة والتوبة وقد وضع ١٤ قانونا للمسيحيين الذين جحدوا إيمانهم مدة الإضطهاد.

الكسندروس الأول البابا التاسع عشر ـ (٣١٣ ـ ٣٢٦م) كان عالما تقيا، ولما انتشرت فى عهده بدعة اريوس جاهد كثيراً فى وقف تيارها بما كتبه من الرسائل وما كان يلقيه على الناس من آيات على حث نبذها. غير انه لم يفلح. ففى سنة ٢٢٠ طرد اريوس من الأسكندرية فذهب إلى فلسطين. ثم عقد سنة ٣٢١ مجمعا مكانيا فى الأسكندرية حكم فيه بتجريده من رتبته الكهنوتية التى كان سلفه البابا ارشلاوس قد أعادها اليه فتوسط أساقفة سوريا فى مصالحته مع البابا. فسمح له بالرجوع إلى الأسكندرية ولكنه تمادى فى نشر بدعته فحرمه ثانية هو وأتباعه وطرده للمرة الثانية من البلاد. فلما رفعت القضية الى القيصر قسطنطين أمر بعقد مجمع مسكونى للفصل فيها. فعقد المجمع بمدينة نيقية (آسيا الصغرى) فى أواخر سنة ٣٢٥. وهو أول المجامع المسكونية. وحضرة الكسندروس ومعه شماس يدعى اثناسيوس ودافعا عن إيمان الكنيسة دفاعا باهراً حمل المجمع على قطع أريوس من الكهنوت وشجب بدعته وخلع الأساقفة الذين كانوا على رأيه من كراسيهم. وتوفى الكسندروس بعد ارفضاض المجمع بخمسة أشهر.

اثناسيوس الأول المشهور بالرسولي ـ (٣٢٦ – ٣٧٣م) بدعة أريوش ـ دفاع اثناسيوس عن الإيمان ـ كان اثناسيوس وثنياً وعاشر المسيحيين فمال إلى آدابهم وديانتهم ثم عمده البابا الكسندوس وأدخله المدرسة اللاهوتية وبعد ذلك جعله شماسا وتلميذا خاصا له لما آنسه فيه من الفطنة والنجابة. وقد رافقه الى نيقية وتولى مع الكسندروس محاجة الفلاسفة الذين أقامهم أريوس للدفاع عنه وانتصر عليهم بقوة براهيبة.

ولما مات الكسندروس خلفه على الكرسي البطريركي وهو بعد شماس في الثامنة والعشرين من عمره. فقضى في الكرسي ٤٦ سنة كانت كلها جهاداً لمكافحة البدعة الاريوسية احتمل في سبيله من المحن ما يهد الرواسي. فان الاريوسيين لم يقنطوا بعد حكم مجمع نيقية بل أعادوا الكرة ورفعوا الأمر ثانية الى القيصر قسطنطين وأقنعوه ببراءة أريوس فطلب القيصر من البابا أثناسيوس ان يقبله فرفض فانتهز الاريوسيون هذه الفرصة ووشوا بالبابا لدى قسطنطين اذا سندوا اليه عدة تهم ظهرت براءته منها كلها في التحقيق ولكنهم زينوا للقيصر فكرة عقد مجمع آخر فعقد المجمع في قيصرية فلسطين وانتقل الى صور وهناك حاولوا أن يغتالوا البابا ففر منهم ولجأ الى القسطنطينية ورفع أمره الى القيصر ولكن الاريوسيين دبروا له مكيدة أخرى اذ اتهموه بأنه يمنع ارسال المؤن من مصر إلى القسطنطينية. فجاز الأمر على القيصر ونفاه إلى مدينة تريف Treves في فرنسا وفي أثناء ذلك عاد أريوس إلى الأسكندرية بأمر القيصر فأقفل المسيحيون أبواب كنائسهم في وجهه وثاروا عليه فدعاه القيصر الى القسطنطينية وأمر أسقفها أن يقبله في كنيستها وفي اليوم المعين للاحتفال بدخوله الكنيسة أصيب بمرض فجائي ومات لوقته. وبعد موته أعيد أثناسيوس الى كرسيه. وكان قد اقام في النفي سنتين. ولكن الحزب الاريوسي لم يهدأ فعقدوا مجمعا في أنطاكية حكموا فيه بخلع البابا أثناسيوس واقامه رجل اسمه غريغوريوس الكبادوكي مكانه فحدث شغب كثير في مصر بسبب هذا البطريرك الدخيل أما أثناسيوس فقد سافر الى روما وهناك عقد مجمع حكم ببراءته. فعاد إلى الأسكندرية وكان غريغوريوس الكبادوكي قد مات ولم يكد يستقر حتى استأنف الحرب ضد بدعة أريوس وحزبه وأخذ يخلع الأساقفة الأريوسيين. فأثاروا عليه القيصر ووالي الأسكندرية فهجم الجند على أثناسيوس وهو في الكنيسة فألح عليه الشعب ان يهرب فهرب إلى البرية وعاش مع الرهبان خمس سنوات ألف في اثنائها عدة رسائل ضد تعاليم اريوس ثم عاد بعد موت القيصر قنسطنس.

ولما ملك بعده القيصر يوليانوس الوثني ورأى نمو المسيحية أمر بقتل اثناسيوس غيلة وعلم اثناسيوس بالأمر فهرب واختفى الى ان مات يوليانوس ثم عاد الى كرسيه وظل فيه الى ان مات. وبالنظر الى هذه الاضطهادات التي كابدها لُقب "بالرسولي".

ومن مآثر هذا البطريرك أنه أدخل الدين المسيحي في بلاد الحبشة اذ رسم فرومنتيوس أسقفا من قبل الكنيسة المصرية سنة ٣٣٠م. وهو أول أسقف ارسلته كنيسة مصر الى تلك المملكة.

ديديموس الضرير ـ (٣١١ - ٣٩٦م) ولد فى الأسكندرية وفقد بصره وعمره أربع سنوات ولكنه تعلم ونبغ وصار أعجوبة عصره فى الفهم والتضلع فى العلوم والفنون فارتقى مدير المدرسة اللاهوتية وساسها من سنة ٣٤٠ إلى ٣٩٥م ودافع عن الإيمان القويم دفاعا مجيداً فى مجمع بنتيه ولما التقى به الأنبا انطونيوس عزاه على فقد بصره بقوله "كيف تحزن على شئ يشترك معك فيه أحقر الحيوان، ولا تفرح متعزياً لأن الله وهبك بصيرة لا يهبها إلا لأحبائه من بنى الإنسان" و مات ديديموس وله من العمر ٨٥ عاماً. ومن مؤلفاته التى لا تزال موجودة كتاب فى الروح القدس وكتاب فى الثالوث الأقدس. أما باقى مؤلفاته فمفقودة.

يوحنا فم الذهب (٣٤٤ - ٤٠٧م) ليس يوحنا فم الذهب مصرياً بل هو من العلماء الأجانب الذين تجلهم كنيستنا وجميع الكنائس المسيحية فى العالم. ولد فى انطاكيه وتربى أحسن تربية ثم انقطع لخدمة الله وقصد الى دير لممارسة الرياضات التقوية ولما رأى الناس تؤم الدير لتمجيده اختفى فى قفر بعيد وظل يسوم نفسه شظف العيش الى أن مرض فعاد الى انطاكية للاستشفاء فرسم هناك شماسا للكنيسة فكاهنا لها سنة ٣٨٦. وفى سنة ٣٩٦ اختير أسقفا للقسطنطينية. ولتشدده فى الدفاع عن الحق لقى اضطهادات كثيرة كانت سببا فى موته سنة ٤٠٧ وكان يوحنا فصيحا بليغ العبارة فى الوعظ حتى لقب "بفم الذهب" وله مؤلفات بديعة أخصها مقالاته الوعظية وتفاسيره للكتاب المقدس ورسائله الكبيرة.

ثاوفيلس البابا ٢٣ (٣٨٥ - ٤١٢م) روى يوحنا النقيوسى فى تاريخه أن البابا ثاوفيلس ولد من أبوين مسيحيين فى مدينة ممفيس توفيا عنه وعن أخت له وكانا كلاهما حدثين فتولت جاريتهما الحبشية العناية بهما وذهبت بهما إلى الأسكندرية. ولما علم القديس اثناسيوس البطريرك بأمرهما كفلهما. فأدخل الفتاة ديراً للرهبات الى ان كبرت فزوجها بشاب من مدينة ديدوسيا "المحلة الكبرى الآن" وفيها أنجبت ولداً هو الذى صار فيما بعد القديس كيرلس أحد كواكب الكرسى الأسكندرى. اما ثاوفيلس اخوها فكان من تلاميذه القديس اثناسيوس فنما فى العلم والفضيله فى ظله، فرقاه الى رتبة شماس ثم إلى رتبة قسيس. ولما توفى القديس اثناسيوس كان قد ذاعت شهرته فوقع الاختيار عليه ليخلفه على كرسى البطريركية فى سنة ٣٨٥م فى عهد الامبراطور تاودوسيوس الكبير.

وقد انتشرت المسيحية فى الديار المصرية فى أيام هذا البطريرك فابتنى عدة كنائس فى الأسكندرية لتفى بحاجة المؤمنين كما انه انشأ عدة أديرة منها دير العذراء بالمحرق. وله مؤلفات دينية كثيرة وقد سافر الى القسطنطينية فى سنة ٣٩٩ واشترك فى تنصيب القديس يوحنا فم الذهب بطريكا على القسطنطينية.

ومن اعمال ثاوفيلس انه استولى على الهياكل الوثنية ومنها هيكل السيرابيوم العظيم وحوّلها إلى كنائس مسيحية وقد قاومه الوثنيون مقاومة شديدة ولكن الأمبراطور تاودوسيوس نصره عليهم وقرر أن تكون الديانة المسيحية هى الديانة الرسمية فى جميع الأقطار الرومانية ومنها مصر، ولم تخل حياة هذا

البابا من القلاقل فبدأت متاعب ببدعة افوديوس من بين النهرين ومحصلها "ان الله جل وعلا ذو صورة بشرية وأعضاء جسدية" وتسربت هذه البدعة الى رهبان برية الأسقيط فلما مثل الرهبان أمامه أقنعهم بما فى هذا الاعتقاد من الضلال وبذا قضى عليهم وأكب بعد ذلك على فحص مؤلفات أوريجانوس فتبين له فيها ما جعله يعقد مجمعا ويحكم بحرم أوريجانوس ومؤلفاته.

وعصاه اثنان من شمامسته فلما عاقبهما لجأ الى يوحنا فم الذهب يطلبان وساطته لكى يصفح عنهما البطريرك فأجابهما الى ماطلبا ولكن ثاوفيلس لم يقبل شفاعته. فحدث ان أسقفا مال الى تحبيذ مطالعة مؤلفات أوريجانوس فقطعه من شركته فانطلق مع بعض الرهبان الى القسطنطينية وشكوا البابا ثاوفيلس الى يوحنا فم الذهب فقبلهم فى شركته فاتفق ثاوفيلس مع ابيفانيوس أسقف قبرص على مقاومة يوحنا فم الذهب لقبوله أسقفا محروما واتفق ان افدوكسيا زوجة الامبراطور أركاديوس كانت تضمر التخلص من يوحنا فم الذهب لأنه كان يكثر من توبيخها فسعت الى محاكمته ودبرت له قضايا ودعت ثاوفيلس وابيفانوس فذهبا الى القسطنطينية وعقدا مجمعين بالقرب من خلقيدونية فى سنتى ٤٠٣ و ٤٠٤ فامتنع يوحنا فم الذهب عن حضور المجمعين فحكم عليه بالنفى حيث رقد فى الرب سنة ٤٠٧ وشعر ثاوفيلس بسوء صنيعه فندم على ما فرط منه ضد القديس يوحنا وقام خليفته من بعده بادراج اسم يوحنا فم الذهب فى جدول القديسين.

ومات القديس ثاوفيلس فى سنة ٤١٢ وتعده الكنيسة الجامعة من كبار معلميها.

القرن الخامس

تاريخ الإنشقاق

كيرلس الكبير الأول البابا الرابع والعشرون (٤١٢ - ٤٤٤م) درس العلوم الطبيعية والفلسفة واللاهوت فى دير ابى مقار ونبغ فيها. ثم ارتقى كرسى البطريركية. وفى أيامه ظهرت بدعة نسطور أسقف القسطنطينية. ومؤداها "ان لسيدنا يسوع المسيح اقنومين احدهما انسانى والثانى الهى. وان السيدة العذراء ليست والدة الإله بل والدة المسيح" فكتب البابا كيرلس رسالة للرهبان والمتوحدين ادحض بها هذه البدعة واثبت الإيمان الأرثوذكسى الصحيح. وهو "ان لسيدنا يسوع المسيح اقنوما واحدا إلهيا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادا بدون إختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، وان السيدة العذراء تدعى بحق والدة الإله" وكتب بعد ذلك الى نسطور نفسه يرشده الى الصواب كما كتب الى القيصر تاودويسيوس والى امرأته واخواته وكتب ايضا إلى اسقف رومه فلم يعبأ نسطور برسالة البابا كيرلس وأصر على رأيه. اما اسقف رومه فعقد مجمعا مكانياً حرم فيه نسطور وبدعته وحدد له عشرة ايام للتوبة. ولكن اسقف انطاكية انتصر لنسطور وانشقت الكنيسة فأمر الملك بعقد مجمع فى أفسس فعقد سنة ٤٣١ برئاسة البابا كيرلس. وأبى نسطور حضور جلساته فحكم على بدعته، وبعد الحكم وصل أسقف انطاكية ومعه أربعون أسقفاً. ولما علموا بما كان من حكم المجمع استاءوا وعقدوا منهم مجمعا قرروا فيه عزل كيرلس والغاء حكمة ورفع الأمر الى الملك من الفريقين. فأقر أخيراً حكم مجمع

أفسس الذى رأسه كيرلس. ثم اشير على الملك فأمر بعزل كيرلس ونسطور والقبض عليهما، ثم عاد فأمر بأطلاق سراح كيرلس ونفى نسطور فنفى الى اخميم بالصعيد المصرى حيث بقى فى منفاه حتى مات. ورجع كيرلس إلى الأسكندرية مكرما وعاش بقية ايامه مجاهدا فى محاربة هذه البدعة وغيرها بالرسائل الكثيرة التى كان يبعث بها الى جميع الجهات، ومما الفه رسائل رد بها على فلسفة يوليانوس الملك الوثنى. وله عدة مؤلفات فقد معظمها. وهو أول من دوّن قداس مرقس الرسول ووضع مرادّه ولذلك دعى بالقداس الكيرلسى ومن اعماله المشكورة انه بناء على التماس الملك ثيودوسيوس أدرج البابا كيرلس اسم القديس يوحنا ذهبى الفم فى جدول القديسين العظام وتعتبره الكنيسة من كبار معلميها.

ديسقورس الأول البابا الخامس والعشرون ـ (٤٤٤ – ٤٥٧م) ارتقى كرسى البابوية فى أوقات عصيبة بسبب ما كان باقياً من أثر الإضطهادات الناشئة عن بدعة نسطور. وزاد الطين بلة ظهور رجل آخر إسمه أوطاخى (افتيخوس) كان رئيس دير بجوار القسطنطينية واختلق بدعة جديدة مؤداها "اختلاط وامتزاج طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت فى المسيح وصيرورتهما طبيعة واحدة بمعنى أن طبيعة الناسوت تلاشت فى طبيعة اللاهوت" فشرع البابا ديسقورس فى مقاومة هذه البدعة وكتب بذلك إلى أسقف انطاكية ثم الى القيصر. وحدث أن فلابيانوس أسقف القسطنطينية وكان متشيعا لنسطور، عقد مجمعاً من ثلاثين أسقفا من أنصاره وحكم بقطع أوطاخى. فاستغاث هذا بالقيصر. فأمر القيصر بعقد مجمع فى أفسس وأرسل إلى البابا ديسقورس يخوله حق رئاسة المجمع ولما عقد المجمع سنة ٤٤٩ جئ بأوطاخى وسئل عن عقيدته فقدم اعترافا مكتوبا بأنه متمسك باعتقاد مجمع نيقية واعتقاد الآباء السالفية، فلم ير المجمع بدأ من الحكم ببراءته هو ورهبانه، وحكم فى الوقت نفسه بعزل فلابيانوس أسقف القسطنطينية لكونه نسطوريا فساء ذلك فى عين بابا روما لأنه كان منتصراً لفلابيانوس هذا، وتريث حتى مات الملك تاودوسيوس وارتفت العرش أخته بلخاريا التى كانت راهبة وتزوجت من مرقيانوس، وطلب عقد مجمع مسكونى آخر. فعقد المجمع فى خلقيدونية سنة ٤٥١م وحدث هرج كثير فى هذا المجمع بين أنصار ديسقورس وخصومه. وأخيراً قدمت ضده عدة شكايات أهمها اتهامه بالموافقة على بدعة أوطاخى. فدفع ديسقورس عن نفسه بأنه وان كان يعتقد بالطبيعة الواحدة فانه لم يقل لا هو ولا كيرلس قبله "بالامتزاج والاختلاط والاستحالة" وكان الغرض من هذا المجمع الانتقام من ديسقورس فانقسم الأعضاء الى حزبين فى بادئ الأمر : الأول حزب ديسقورس والثانى الحزب المضاد له وكاد حزب ديسقورس ينتصر وأحيط بالجند لمنعه عن الخروج، وشتت الأساقفة المنتصرون له وحكم عليه ظلما وعدوانا بالعزل والنفى فنفى ومات فى منفاه.

عقائد الكنائس ـ ولأجل الفائدة نثبت هنا عقائد الكنائس المسيحية المختلفة فى هذه المسألة

(١) فكنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقورس ومعها الكنائس الحبشية والارمنية والسريانية والأرثوذكسية تعتقد "بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم. أقنوم الآب وأقنوم الإبن وأقنوم الروح القدس وأن الأقنوم الثانى أى أقنوم الأبن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء

مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية. منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال. وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة".

(٢) وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بأن للأقنوم الثانى طبيعتين ومشيئتين.

بدء الانشقاق ـ بذلك صار مجمع خلقدونية بدء انشقاق الكنيسة الجامعة وقد عقد بعد ذلك بجامع مكانية فى الأسكندرية وفى القسطنطينية شجبت عقيدة المجمع المشار اليه. الا أن ذلك لم يود الى اعادة الوحدة. وكلما ارتقى عرش القسطنطينية قياصرة يعتقدون معتقد المجمع الخلقيدونى كانوا ينصرون القائلين بالطبيعتين ويشايعونهم ويضطهدون القائلين بالطبيعة الواحدة لكى يحملوهم قسراً على ترك معتقدهم. سواء فى الأسكندرية أو فى القسطنطينية أو فى غيرها. وبسبب ذلك وجد فى الأسكسندرية مسيحيون خلقيدونيون دعوا "ملكيين" نسبة للملك الذين يدينون بعقيدته، ومسيحيون ارثوذكسيون هم أبناء الكنيسة القبطية المصرية.

وقد أطلق بعض المؤرخين على الأرثوذكس المصريين لقب "يعاقبه" ولعل سبب ذلك ان ديسقورس كن له تلميذاً اسمه يعقوب اوفده الى مصر عقب نفيه بحكم المجمع الخلقيدونى لكى يبلغ المصريين تمسك بطريركهم بمعتقد إلا جزءاً من الإيمان المسيحى، فتسميه الأقباط "يعاقبه" للسبب التافه المشار اليه أو لأى سبب آخر خطأ بالبداهة.

القرن السادس

تيودوسيوس البابا الثالث والثلاثون ـ (٥٣٦ – ٥٦٨م) أهم ما حدث لهذا البابا أن القيصر دعاه الى القسطنطينية لكى يستميله الى التسليم بعقيدة المجمع الخلقيدونى فأبى فنفاه ولبث ثمانية وعشرين سنة منفياً. وهى معظم مدة بابويته. وفى أثناء نفيه أجلس القيصر مكانه بطريركا أحدهما يختاره الأرثوذكس الوطنيون. والثانى يبعث به القيصر ليكون بطريركا للملكيين. وأول بطريرك ملكى هو بروتاريوس الذى عينه القيصر جوستنيانوس. وبسبب الاضطهاد ظل الأرثوذكس الوطنيون زمناً غير يسير يرسمون بطاركتهم سراً. ولم يكن مسموحا لهؤلاء البطاركة دخول الأسكندرية فكانوا يقيمون بعيداً عنها. والبطاركة الخلقيدونيون (الملكيون) غير معدودين فى سلسلة بطاركة الكرسى المرقسى.

الفصل الثالث

الرهبانية

تعريف الرهبانية ـ هى نذر التبتل الى الله مع اختيار الفقر طوعا. واعتزال العالم للتعبد.

أصل الرهبانية ـ ومع أن المصريين المسيحيين هم أول من ابتنى الأديرة فى الجبال والصحارى للرهبان فى الجيل الثالث حتى أصبح الترهب عندهم نظاما دينيا نقله عنهم مسيحيو رومة وباقى أوربا، الا ان التبتل والانفراد للتعبد كانا معروفين من قبلهم عند قدماء المصريين واليهود. فقد كان فى ضواحى الأسكندرية قوم من اليهود عرفوا بمتأملى الإلهيات Therapentae تركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا وآووا رجالاً ونساء الى التلال المجاورة، يقيمون فيها الصلوات ويسبحون الله بالمزامير والترانيم.

مؤسسو الترهب ـ يرجع تأسيس الرهبانية المصرية بشكلها الحاضر إلى الآباء بولا وانطونيوس المعروف بأب الرهبان وباخوميوس ومكاريوس المصرى. واليك موجزاً من تاريخ كل منهم :

الأنبا بولا أول السياح ـ ولد فى مدينة طيبة بالصعيد سنة ٢٢٨م. وكان عمره خمس عشرة سنة عندما مات والداه فتركا له ولأخته أموالهما. واتفق بعد ذلك بقليل ان وقع اضطهاد القيصر ديسيوس للمسيحيين. فاختفى بولا فى منزل منفرد وكان زوج اخته وثنيا فحدثته نفسه بأن يشى به الى الوالى لكى يستأثر بجميع الميراث. وبلغ الخبر بولا ففر الى البرية آملا العودة بعد زوال الاضطهاد. ولكنه استمر فى عيشة العزلة ولم يرجع إلى المدينة، وقد قال عن نفسه فى ذلك : "ان الظروف هيأت لى طريق الفضيلة" وكان قد اهتدى الى مغارة فيها نبع ماء صاف وأمامها نخل كثير. فأقام مدة حياته مثابرا على الصلاة والتأملات الروحية يتغذى من ثمر احدى النخلات ويشرب من ماء النبع ويكتسى بخوص النخلة مجدولا. وقبيل رحيله من العالم زاره الأنبا أنطونيوس بإلهام الهى. ولما مات كفنه ودفنه. وكان عمره ١١٣ سنة.

وللأنبا بولا دير لا يزال به عدد من الرهبان الى اليوم بجبل القلزم على مقربة من البحر الأحمر فى نفس الموضع الذى عاش فيه.

الأنبا أنطونيوس أب الرهبان ـ ولد سنة ٢٥١م فى بلدة قمن العرمس بمركز الواسطى بأقليم بنى سويف من أبوين مثريين وتربى تربية مسيحية منذ نعومة أظفارة ومات أبواه فى العشرين من عمره وقد ذهب ذات يوم الى الكنيسة فسمع فصل الإنجيل يقرأ وفيه قول السيد المسيح للشاب الغنى "أن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبعب أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى مت ١٩ : ٢١" فعمل بهذه الآية حرفيا وخرج من فوره فباع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء مستبقيا بعضه لشقيقته الصغرى. وانفرد فى البرية الشرقية للعبادة والنسك حيث سكن قبرا من القبور القديمة مدة من الزمن لقى فى خلالها تجارب شديدة من المحاربات الشيطانية ثم أوغل فى البرية فوجد برجا قديما اتخذه مأوى له مدة عشرين سنة فسمع الناس بأمره وذاعت بينهم أخبار تقواه وفضيلته فقصدوه

زرافات ووحدانا فلم يشأ ان يخرج اليهم فاضطروا الى هدم مدخل البرج وتمكنوا بذلك من مقابلته فأخذ يعلمهم ويصلى من أجل مرضاهم

ولما وقع اضطهاد القيصر مكسيمانوس نزل إلى الاسكندرية لتقوية المسيحين على احتمال الاضطهاد. وقد أمّ البرية فى ذلك الحين كثيرون فابتنى لهم الاديرة وسن القوانين التى يسيرون عليها فى حياتهم النسكية.

واتصل أمره بالملك قسطنطين فأرسل إليه يدعوه لزيارة القسطنطينية لكى يراه فأكبر الرهبان هذه الدعوة وزهوا بها والحوا عليه فى أن يجيبها أما هو فاكتفى بان رد عليها برسالة.

وكان أنبا بولا أول السياح مقيما يتعبد فى هذا الجبل. فذهب أنبا انطونيوس لزيارته وشعر بولا حينئذ بدنو أجله فأوصاه بأن يكفنه ويدفنه ففعل.

وفى سنة ٢٥٥م نزل مرة ثانية الى الاسكندرية لمحاربة بدعة أريوس وكان عمره وقتئذ ١٠٤ سنة وبعد رجوعه منها توفى ودفن فى كنيسة الدير الذى أسسه.

وللأنبا انطونيوس دير كبير تبلغ مساحته عشرين فدانا بجبل القلزم قريبا من دير الانبا بولا وبالدير الذى أسسه غير الكنيسة التى دفن بها جسده بضع كنائس أخرى بنى أحداها الانبا كيرلس الرابع.

الأنبا باخوميوس ـ (٢٨٨ ـ ٤٠٥م) ويدعى أب الشركة الرهبانية. ولد من أبوين وثيين ولما ناهز العشرون من عمره انخرط فى سلك الجندية. وحدث أنه دخل مع رفقائه من الجنود احدى المدن المسيحية فاكرمهم أهلها فمس هذا الاكرام قلبه وكان ذلك سببا فى اعتناقه المسيحية. وبعد ما اعتنقها مال إلى الوحدة فصار أولا تلميذا للانبا بلامون ثم ابتنى ديرا أمه كثيرون من طلاب الزهد حتى بلغ عدد رهبانه سبعة آلاف، وقد أقام ديرا آخر للراهبات لما راى اقبال عدد من السيدات على الرهبانية وقد بلغ عددهن فى هذا الدير أربع مئة.

الأنبا مكاريوس المصرى ـ (٣٠٠ ـ ٣٩٠م) ولى سنة ٣٠٠م ولما كبر زوجه والده بغير ارادته غير أن عروسه ماتت قبل ان يعرفها. وبعد ذلك بقليل مات والداه. فوزع ما تركاه له على الفقراء والمساكين وانفرد فى كوخ بظهر بلدته متعبدا. ثم زار القديس أنطونيوس الذى ألبسه "أسكيم" الرهبانية وذهب إلى قفار وادى هبيب حيث أسس ديراً معروفا الان بدير البراموس وبعد ان رسم قسا التف حوله عدة من الرهبان فابتنى لهم الدير المعروف الآن باسم دير أبى مقار وعاش عيشة التقشف الصارم. ولما وقع اضطهاد الملك فالنس الاريوسى للأرثوذكسيين لقى هذا القديس الشدائد فى سبيل دفاعه عن الإيمان القويم ونفى إلى جزيرة انس الوجود فشفى ابنه كاهن أوثانها من مرض ألمّ بها فآمن الكاهن وكل سكان الجزيرة بالمسيح على يديه. ثم عاد من المنفى وقضى بقية أيامه فى هذا العالم معلما ومرشدا للرهبان. الى ان توفى عن تسعين سنة. وله خمسون رسالة وعظية.

الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ـ (٣٣٣ ـ ٤٥١م) ولد فى قرية شندويل بمديرية جرجا. وكان فى حداثته راعى غنم ثم ارسله والده إلى دير قريب من سوهاج ليتعلم ويتهذب وكان خاله الانبا بيجول رئيس الدير. فمالت نفسه للترهب فانتظم فى سلكه. ولما مات خاله اختاره الرهبان رئيسا للدير بدله. فنظم الدير ووسع نطاقه. وما زال هذا الدير باقيا الى اليوم معروفا باسمه وهو على مقربة من سوهاج ويسمونه أيضا بالدير الأبيض نسبة الى لون الحجر الذى بنى به. وعلى بعد نحو ميلين من هذا الدير يوجد دير ثان يعرف بدير انبا بيشوى ويسمونه أيضا بالدير الأحمر نسبة الى لون الآجر الذى بنيت به اسواره، وقد بلغ عدد الرهبان فى الديرين الأبيض والأحمر نحو اربعة الاف.

وكان الأنبا شنوده عالما مقتدرا فى الدين، ومدرها مفوها عن العقيدة. شهد مجمع أفسس الأول مع البابا كيرلس الأول سنة ٤٢١م وله مؤلفات نفيسة ومواعظ بليغة. ألفها باللغة القبطية وعثر عليها الافرنج مؤخرا فنقلوها الى دور كتبهم.

وأشتهر الأنبا شنوده بالشده والصرامة فيما سنه من القوانين لرهبانه. وكان لديه شبه مجلس شورى لسياسة شؤون الدير.

ويوجد غير هؤلاء الآباء العظام رهبان وسياح اشتهروا بالقداسة وصنع العجائب تذكرهم الكنيسة فى الصلاة التى تتلى فى القداس الباسيلى والغريغورى والكيرلسى.

الفصل الرابع

اضطهادات القرون الأولى

اسباب الاضطهادات ـ قاست الكنيسة القبطية اضطهادات سريعة ـ لم تقاسها كنيسة أخرى فى العالم ـ من قياصرة الرومان وعمالهم على مصر، ولتلك الاضطهادات أسباب عدة : منها زيادة انتشار الديانة المسيحية وتغلبها شيئا فشيئا على الديانة الوثنية. واستقامة سيرة المسيحين الأولين مما ملأ قلوب أولئك الأعداء حسدا لهم. ومنها أن المملكة الرومانية كانت تعتبر الدين المسيحى دينا غير شرعى. فلم تر بداً من مقاومته بإضطهادها لاتباعه طمعا فى القضاء عليه.

أشد الاضطهادات هولا ـ وقد أجمع المؤرخين على أن أشهر الاضطهادات التى وقعت على المسيحين عامة والقبط خاصة من منتصف القرن الأول إلى أوائل القرن الرابع عشر وأشدها هولا الأضطهادات الأربعة الآتية :

١ ـ إضطهاد نيرون ـ (سنة ٦٤) وكان سببه أن نيرون بعدما أحرق رومه اتهم المسيحيين بهذا الحريق فكانت السنوات الأربع الأخيرة من حكم هذا الطاغية سنى اخطار ومهالك فى كل انحاء المملكة الرومانية اذ تفننوا فى تعذيب المسيحيين فوضعوا بعضهم فى جلود حيوانات برية وطرحوهم للكلاب فنهشتهم. وصلبوا بعضا. وألبسوا بعضا ثيابا مطلية بالقار وجعلوهم مشاعل يستضاء بها ليلا. وكان نيرون نفسه يسير على ضوء هذه المشاعل البشرية.

٢ ـ إضطهاد تراجان ـ (سنة ١٠٦م) أمر هذا القيصر الولاة بأن يمنعوا الاجتماعات السرية، وحيث أنه جرت عبادة المسيحيين بأن يجتمعوا للصلاة فى الخفاء هربا من الاضطهاد فقد وقعوا بذلك تحت طائلة القصاص فسامهم الولاة الذل والعذاب الأليم. ومما كتبه أحد هؤلاء الولاة إلى القيصر "ان قوما من المسيحيين قد تعودوا أن يجتمعوا سراً قبل الفجر ويترنموا بنشيد او مزمور للمسيح الههم ثم يتحالفون ويتعاهدون على الامتناع عن السرقة والزنى وفعل المنكر ونكث العهود وبعد أن يأكلوا طعاما يسيراً ينصرفون".

٣ ـ إضطهاد ديسيوس ـ (٢٤٩ - ٢٥١م) فى أثناء هذا الاضطهاد نفى أوريجانوس وديونسيوس أسقف الأسكندرية ولجأ بسببه إلى الصحارى جم غفير من المسيحيين، بينهم شاب اسمه بولا وهو الذى صار الناسك الأول فى الصحراء.

٤ ـ إضطهاد دقلديانوس ـ (سنة ٣٠٣م) أمر هذا الإمبراطور بهدم جميع الكنائس واحراق الكتب، وأصدر ثلاثة مراسيم متتابعة بالقبض على الأساقفة والرعاة وزجهم فى غياهب السجون وقهر المسيحيين على انكار إيمانهم وقد استشهد فى هذا الاضطهاد من القبط عدد كبير قدره بعضهم بمئة وأربعة وأربعين ألفا وبعضهم بثمانى مئة الف، وبالنظر لكثرة الدماء الغالية والأرواح العزيزة التى بذلوها جعل القبط تقويمهم مبتدئيا من سنة ٢٨٤م وهى التى ارتقى فيها دقلديانوس عرش الملك واعتبروها السنة الأولى للشهداء، وكان أول توت من سنيهم يوافق ٢٩ أغسطس بحساب التقويم اليوليانى، وهو الآن يوافق ١١ سبتمبر بحساب التقويم الغريغورى.

أشهر الشهداء المصريين

القديس مينا الشهير بالعجائبى ـ ولد فى نيقيوس بالمنوفية وكان أبوه من مديرى الأقاليم فى مصر. وقد كان ضابطا فى الجيش. ولما مات والده عين فى منصبه. ثم وقع اضطهاد دقلديانوس فاعتزل المنصب وفر الى البرية. ولكن نفسه حدثته بأن فراره قد يحسب جبنا عن الاعتراف بالإيمان. فعاد الى المدينة واعترف علنا بإيمانه : فحاول الحكام أن يثنوه عن عزمه بالملاطفة فلم يستطيعوا. فعذب ثم قطع رأسه وكان ذلك فى سنة ٢٥٠م وبعد مدة من الزمن عثر على جسده وأقيمت بأمر امبراطور القسطنطينية كنيسة تحت قبره، لا تزال آثارها باقية بجهة مريوط. وتوجد عدة كنائس باسمه فى انحاء القطر أشهرها كنيسة "مارمينا" بفم الخليج بمصر.

القديس تادرس الشطبى الشهير بالأمير تادرس ـ ولد من أب مصرى وكان من أهل شطب بمديرية أسيوط. ولما كبر انتظم فى سلك الجندية وارتقى فيها الى أن وصل الى منصب يعادل منصب وزير حربية. ثم وقع اضطهاد على المسيحية فلم ير هذا القديس بدا من أن يعترف أمام القيصر بإيمانه بالمسيح فأمر باعدامه حرقا. واستشهد فى اخائية ببلاد اليونان سنة ٣٢٠م. وبقاياه مدفونه بكنيسة بحارة الروم بالقاهرة.

القديس يوليوس الاقفهصى ـ هذا القديس هو جامع سيرة الشهداء الذين تقدموه، وقد ولد فى اقفهص بمركز الفشن من اعمال مديرية المنيا. وكان كاتبا ماهرا فبعد ما تقصى تواريخ الشهداء ودوّن ماوصل اليه بحثه ذهب الى سمنود حيث كان يُطلب من المسيحيين أمثاله تقديم العبادة للأصنام. فأبى عبادتها وجرت بصلاته معجزة سقوط الأصنام بها وهلاك كهنتها فآمن واليها بالمسيح. ثم ذهب الى أتريب (خرائبها بجوار بنها) فعذبه واليها أولا ثم آمن بالمسيح على يديه. ولما جاء طوه بمركز ببا أمر الوالى المدعو الكسندروس فقطع رأسه ورؤوس ولديه وكثيرين آخرين.

القديسة دميانة ـ هى الابنه الوحيدة لمرقس والى البرلس والزعفران ووادى السيسبان باقليم الغربية. وكانت جميلة الطلعة حتى أجمع المؤرخون على تسميتها "ربة الجمال والكمال" ولما بلغت سن الخامسة عشر نذرت نفسها ان تعيش بتولا فابتنى لها والدها قصرا خاصا اعتزلت فيه واعتزل معها اربعون عذراء قبطية من بنات أكابر الولاية. واتفق ان والدها بخر للأوثان عملا بأمر دقلديانوس فلما سمعت القديسة بذلك بادرت اليه وبينت له خطأه وشجعته على التوبة. فتاب واعترف بإيمانه بالمسيح أمام القيصر فقتله. أما هى فأرسل اليها القيصر قائدا ومعه مئة جندى لكى يحملها على انكار ايمانها أو يقتلها. فانتهرت القائد عندما عرض عليها أمر القيصر وافهمته انها لا تطيع صابرة واخيرا قطع رأسها ورؤوس العذارى الأربعين والذين آمنوا بسببها. وكان ذلك فى اوائل القرن الرابع للمسيح.

ثم جاء القديس يوليوس الاقفهصى فاخذ الاجساد ودفنها بالاكرام. ودوّن سيرة القديسة ورفيقاتها، وأمر قسطنطين الكبير فبنيت كنيسة فوق قبرها ودشنها الكسندروس البابا الاسكندرى فى ١٢ بشنس ورسم لها أسقفا وقسوسا وشمامسة. ولا يزال لها دير على مسافة ١٢ كيلو متر شمالى بلقاس، يؤمه الأقباط للزيارة فى ١٢ بشنس من كل عام.

أشهر الشهداء غير المصريين
الذين تعترف بهم الكنيسة القبطية

القديس مرقوريوس الشهير بابى السيفين ـ ولد هذا الشهيد بروميه من أبوين مسيحيين ولما بلغ سن الجندية انتظم فى سلكها. وارتقى الى رتبة رئيس الجند. وجاء فى التقليد ان ملكا ظهر له وهو يحارب اعداء قيصره ديسيوس الكافر. وقلده سيفا غير السيف الذى يحمله. فدعى لذلك "أبا السيفين". ولما انتصر القيصر فى هذه الحرب على اعدائه أمر رعاياه بتقديم الذبائح للأصنام شكرا لها على الصر. فلم يطع مرقوريوس الأمر فأرسله القيصر مكبلا بالحديد الى قيصرية فلسطين. وهناك جاهد فى سبيل نشر الدين المسيحى. ثم قطع رأسه سنة ٣٥٠م.

وفى اوائل القرن الخامس عشر أى فى عهد البابا يؤانس البطريرك الرابع والسبعين نقلت رفاته الى مصر ودفنت فى الكنيسة المعروفة باسمه الآن بمصر القديمة.

القديس جاورجيوس الكبادوكى الشهير بمارجرجس ـ (٢٨٠ – ٣٠٣م) كان هذا القديس من اشراف كبادوكية (باسيا الصغرى). وقد انخرط كغيره من الشبان فى سلك الجندية. وبلغ فيها رتبة

قائد فى جيش دقلديانوس ولما استعرت نار الاضطهاد الذى اثاره هذا القيصر باع القديس كل ما يملك ووزع ثمنه على الفقراء استعداداً لاحتمال الآلام. وبينما كان سائرا ذات يوم فى مدينة نيقوميدية وجد منشور الملك القاضى باضطهاد المسيحية ملصقا على الحائط فاقتلعه ومزقه وذهب بنفسه الى مجلس الملك واخذ يدافع عن المسيحيين ويصف طهارة ديانتهم بازاء ضلالات الوثنية، فأمر القيصر بتعذيبه. فوقع به من التعذيب ضروب شتى. حتى ان كثيرين من الذين رأوا ثبات القديس فى ايمانه برغم هذا العذاب آمنوا بالمسيح ومن بينهم الملكة نفسها فأمر القيصر بقطع رأسه ورأس الملكة. وبعد ما دفن جسده فى لد بفلسطين التى هى وطن والدته نقل الى مصر على ما يقال فى أيام الأنبا غبريال البابا الثامن والستين.

ويحترم جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم هذا القديس احتراما عظيما. وأخص الشعوب التى تجله الشعب الروسى والشعب الانكليزى. فالروس يرسمون صورته على حصونهم. والانجليز يرسمونه على نقودهم ويعدونه شفيعا لهم وحاميا لمملكتهم.

الفصل الخامس

المجامع

المجامع هى هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية. رسم الرسل نظامها فى حياتهم حيث عقدوا المجمع الأول فى اورشليم سنة ٥١ – ٥٢ م برئاسة يعقوب الرسول اسقفها للنظر فى مسألة ختان الأمم (اع ١٥ : ٦ – ٢٩) ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم بعد ذلك.

والمجامع نوعان : مجامع مسكونية. ومجامع مكانية أو أقليمية. أما المجامع المسكونية فقد عقدت مرات معدودات فى القرون الأولى حيث كان يشهدها أساقفة وقسوس وشمامسة الكنائس من سائر أنحاء المسكونة. وكان السبب الاساسى لعقدها ظهور آراء دينية غريبة، رئى من الضرورى فحصها فى هذه المجامع واصدار قرارات فى شأنها وشأن مبتدعيها.

والمجامع المكانية هى التى كانت ولا تزال الكنائس تعقدها فى دوائرها الخاصة من أساقفتها وقسوسها، أما لأقرار عقائد عامة أو لرفضها أو للنظر فى شؤون محلية خاصة.

وقد عقد من المجامع المسكونية سبعة، تعترف كنيستنا الأرثوذكسية بالأربعة الأولى منها. وهذا بيانها:

المجمع المسكونى الأول
أو مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م

عقد فى نيقية عاصمة بيثينية بأسيا الصغرى بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير. وحضره ٣١٨ أسقفا غير القسوس وعلماء الكنيسة والشمامسة، وفى جملة هؤلاء الشماس أثناسيوس الذى صار فيما بعد بابا الكرسى الاسكندرى. وكان السبب فى عقده ظهور بدعة "أريوس" القس الاسكندرى الذى

علمّ "بان يسوع المسيح الابن الازلى مخلوق" وحضر قسطنطين هذا المجمع بنفسه وبعد ما دافع الكسندروس بابا الأسكندرية وتلميذه الشماس أثناسيوس عن الإيمان القويم دفاعا حسنا. حكم المجمع بحرم اريوس وتعليمه، ووضع قانونا عاما للإيمان هو القانون المتبع للآن وأوله "نؤمن باله واحد". غير انه وضعه الى قوله : "وليس لملكه انقضاء" ثم وضع عشرين قانونا لاجل نظام الكنيسة وانتخاب رعاتها وتأديبهم، ومن بينها قانون بحظر الزواج الثانى على من يكون متزوجاً زواجا أول من رجال الاكليروس وماتت زوجته، وقرر ايضاً احياء ذكرى عيد القيامة سنويا فى يوم الأحد الذى يلى عيد ذبح الخروف عند اليهود.

المجمع المسكونى الثانى
أو مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م

أجتمع فى القسطنطينية بأمر الإمبراطور تاؤدسيوس الكبير وحضره ١٥٠ أسقفا ومنهم تيموثاوس الأول بابا الأسكندرية وكان سبب عقده محاكمة اصحاب البدع الكثيرة ومنهم مكدونيوس اسقف القسطنطينية الذى قال "ان الروح القدس مخلوق" فحكم المجمع بحرمهم وتحريم تعاليمهم وأقر قانون الإيمان النيقى واضاف اليه التكملة التى أولها. "نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب يسجد له ويمجد مع الآب والأبن الناطق فى الأنبياء" الى اخر القانون، وسن سبعة قوانين خاصة بنظام الكنيسة وسياستها.

المجمع المسكونى الثالث
أو مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م

أجتمع بأمر الإمبراطور تاودسيوس الصغير وحضره مئتا أسقف برياسة كيرلس الأول الكبير بابا الأسكندرية وكان من بين الحاضرين فيه الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. سبب عقده ظهور بدعة نسطوريوس أسقف القسطنطينية الذى علم "بأنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان" فحكم المجمع بحرم هذه البدعة وأثبت أن فى المسيح أقنوما واحدا وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ولذلك فان العذراء تدعى بحق والدة الإله. وقد وضع هذا المجمع مقدمة لقانون الإيمان وهى : "نعظمك يا أم النور ...الخ"

المجمع المسكونى الرابع

يوجد مجمعان بهذا الأسم وهما :

(١) مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م

اجتمع فى أفسس بأمر الإمبراطور تاؤدسيوس الصغير وبناء على التماس أوطاخى المبتدع استئنافا للحكم الصادر بقطعه من مجمع مكانى عقده فلابيانوس أسقف القسطنطينية وحضره ١٥٠ أسقفا

ومنهم نواب عن أسقف رومه. ورأسه ديسقورس بابا الأسكندرية. ولما مثل أوطاخى أمام المجمع وسئل عن عقيدته أقر بأنه يعتقد بإيمان المجمع النيقى وبما قرره الآباء. فلم يرَ المجمع بداً من تبرئته، أما فلابيانوس فلكونه كان نسطوريا تقرر قطعه.

وهذا المجمع لا تعترف به لا الكنيسة اليونانية ولا كنيسة رومه

(٢) مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م

اجتمع أولاً فى مدينة القسطنطينية فى سنة ٤٥١م بأمر الإمبراطور مرقيانوس والإمبراطورة بولخيريا زوجته، ولما رأى الإمبراطور اصرار الآباء الأساقفة ورؤساء الأساقفة على رفض تفسير لاون للأمانة وتمسكهم برأى البابا ديسقورس قرر الإمبراطور أن يجتمع فى خلقيدونية بجوار القسطنطينية بناء على طلب اسقف رومه الذى سعى الى عقده لأن قرارات مجمع أفسس الثانى لم ترق فى نظره. فحكم هذا المجمع بالغائها وبحرم اوطاخى وبعزل ديسقورس بابا الاسكندرية ونفيه ولا تعترف كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بهذا المجمع ولا بتعاليمه.

بقية المجامع المسكونية

وبعد المجامع الأربعة المتقدمة عقدت ثلاث مجامع مسكونية اخرى لم تمثل فيها الكنيسة بل كان يحضرها بطاركة الأسكندرية الملكيون (الخلقيدونيون) وهى : المجمع الخامس الذى عقد فى القسطنطينية سنة ٥٥٣م. والمجمع السادس الذى عقد فى القسطنطينية أيضاً سنة ٦١٠م والمجمع السابع الذى اجتمع اولاً فى القسطنطينية سنة ٧٨٦م وأتم جلساته فى نيقية سنة ٧٨٧م.

الفصل السادس

مدرسة الأسكندرية

انشئت بهذا الاسم فى الأسكندرية ثلاث مدارس وهى : (١) المدرسة الوثنية الأولى (٢) المدرسة اللاهوتية المسيحية (٣) المدرسة الفلسفية.

المدرسة الوثنية الأولى ــ انشأ هذه المدرسة بطليموس الأول ملك مصر ولم تكن مدرسة بالمعنى المتعارف بل كانت حلقات متسلسلة من العلماء المجتهدين الذين خدموا العلوم والآداب وأعلوا شأنها مدة تسعة قرون من سنة ٣٢٣ قبل الميلاد إلى سنة ٦٤٠ بعده، وظلت الفلسفة ومذاهبها المختلفة أهم ما كانت تشتغل به تلك المدرسة أسوه بالمدرسة اليونانية فى تلك العصور، على أنها اشتغلت أيضا بالعلوم الأخرى كالطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافية والموسيقى والتاريخ واللغة وغيرها.

أما الأماكن التى كانت مقراً لتلك المدرسة، وفيها كان العلماء يؤدون أعمالهم من ابحاث ومحاضرات وتصنيف وكتابة ونشر فأهمها :

أولاً ـ المكتبة الكبرى ـ وقد أسسها بطليموس الأول المشار إليه وجمع فيها من الكتب ٧٠٠ ألف مجلد على ما قيل. وقد احترقت تلك المكتبة لسوء الحظ عند دخول يوليوس قيصر الأسكندرية.

ثانياً ـ المكتبة الصغرى أو مكتبة "سيرابيوم" وبلغ عدد ما بها من الكتب ٣٠٠ ألف مجلد وقد باد معظمها سنة ٣٩٠م أثناء الصراع الذى دارت رحاه بين الوثنيين والمسيحيين واحترقت بقاياه سنة ٦٤١م.

ثالثاً ـ الرواق (Nuseum) وكان جزءاً من القصور الملكية وهو عبارة عن قاعة كبرى، بها نضائد للقائد وللعلماء العاملين وبهو لالقاء المحاضرات والمناقشات، يتبع ذلك حدائق للحيوانات والنباتات ومرصد فلكى ومعامل وقاعات للتشريح ومجموعات من التماثيل والنماذج لمساعدة العلماء فى الأبحاث التى يشتغلون بها فضلاً عن منتزه وقاعات أخرى.

ومن أشهر مآثر هذه المدرسة ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية فى عصر بطليموس الثانى وهى الترجمة المعروفة بالترجمة السبعينية.

المدرسة المسيحية ـ هى المدرسة اللاهوتية. أسسها مرقس الرسول فى أوائل سنى كرازته وكانت تشتغل أول الأمر بدرس وتدريس مبادئ الديانة المسيحية بنوع خاص، على طريقة السؤال والجواب، على أن نطاقها اتسع بعد ذلك وصارت تشتغل بالعلوم والآداب والفلسفة. وقد وجدت بين علمائها وعلماء المدرسة الوثنية الأولى علاقات اتحاد متينة العرى حتى قال الإمبراطور ادريانوس : "أن عباد سيرابيس بالأسكندرية مسيحيون. كما ان اساقفة النصرانية يعبدون سيرابيس"

وقد عظم شأن هذه المدرسة كثيراً وبلغت منزلة عالية من الرقى وبُعد الصيت. حتى أن منصب رئيسها لأهميته كان يلى المنصب البطريركى فى الرتبة، وظل أساقفة وبابوات الكرسى الاسكندرى زمناً طويلا فى أوائل النصرانية ينتخبون غالبا من بين رؤسائها. وكان تلاميذها يدربون على عيشة النسك والبتولية حتى تخرج منها أعاظم بابوات الأسكندرية الذين اشتهروا بسعة العلم والاطلاع وعظم الغيرة مثل الكسندروس واثناسيوس وديونسيوس وكيرلس وديسقورس وغيرهم ممن بذلوا أفضل الجهود وأثمن التضحيات على مذبح تثبيت الإيمان القويم.

أما رؤساء هذه المدرسة فهم :

(١) يسطس وقد تولاها فى أواخر سنى مرقس الرسول وفى عهد الأساقفة الأربعة الذين خلفوه.

(٢) أومانيوس فى حبرية يسطس

(٣) مركيانوس فى حبرية ارمانيوس

(٤) بنتينوس فى حبرية ديمتريوس

(٥) أكليمندس فى حبرية ديمتريوس

(٦) أوريجانوس فى حبرية ديمتريوس

(٧) ياروكلاس فى حبرية ثاؤنا

(٨) ديونسيوس فى حبرية ثاؤنا

(٩) ثاؤغسث فى حبرية ثاؤنا

(١٠) بيروس فى حبرية ثاؤنا

(١١) ارخلاوس فى حبرية ثاؤنا

(١٢) بطرس فى حبرية ارخلاوس

(١٣) سرابيون فى حبرية اثناسيوس

(١٤) مقار السياسى فى حبرية اثناسيوس

(١٥) ديديموس الضرير فى حبرية كيرلس الأول

(١٥) رودون فى حبرية كيرلس الأول

وقد هذبت هذه المدرسة عدداً عظيماً من المسيحيين والوثنيين الذين أموها من سائر العالم المعروف إذ ذاك وكانت العامل الأكبر فى نشر الدين المسيحى فى الأقطار المصرية خاصة وفى تعميم نفوذ مدرسة الأسكندرية فى الشرق عامة.

ولكن لما حدث الانشقاق بسبب المجمع الخلقيدونى فى اواسط القرن بدأ نجم هذه المدرسة يأفل. إذا أخذت تضعف تدريجياً حتى اندرست معالمها.

المدرسة الفلسفية ــ لما أزهرت المدرسة اللاهوتية وظهرت ثمار تعاليمها فى خريجها النوابغ. أمثال اكليمندس وأوريجانوس. قام أمونيوس الصقاس حوالى سنة ١٩٣م وأنشأ الى جانبها المدرسة الفلسفية وخصصها لتعليم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة. وهى خلاصة مذهبى أفلاطون وأرسطو ولبثت هذه المدرسة عامرة الى سنة ٥٣٩م. وقد ارتفع شأنها فى المدة الأولى تحت إدارة مؤسسها وخلفيه بلوتن وبورفيروس. وجاء جامبليك فأخذ يقاوم تعليم المدرسة المسيحية فابتدأت من ذلك الحين تتحول من تعليم الفلسفة الراقية إلى أعمال السحر والشعوذة. وكان ذلك فى القرن الرابع أيام القيصر يوليانوس الكافر. وتم اضمحلالها وسقوطها سنة ٥٢٩م فى حكم جوستنيانوس.

الفصل السابع
خلاصة أحوال مصر
فى عهد الدولة الرومانية الشرقية

بعد أن تقلص ظل البطالسة عن البلاد المصرية، حكمها الرومان على يد الأمبراطور اوغسطس قيصر سنة ٣٠ ق. م. وصار هذا الامبراطور ومن جاء بعده من الأباطرة يرسلون اليها الولاه من قبلهم لادارتها فكان بعضهم يحسن معاملتها وبعضهم يسيئها.

ومن هؤلاء الأباطرة قسطنطين الأكبر الذى اعتنق المسيحية على يد أسقف ازمير. فان هذا الإمبراطور أراح مسيحى مصر بنوع خاص. ثم أصدر مرسوما بميلانو اعترف فيه بالدين المسيحى. فاخذ الدين ينتشر فى المملكة من ذلك الحين. ولما ارتقى العرش تاؤدرسيوس الكبير أبطل عبادة الأوثان ورسم أن تكون المسيحية الديانة الرسمية للمملكة فى سنة ٣٨١م ثم مات سنة ٣٩٥م. فخلفه ولداه اركاديوس وهونوريوس وقسما المملكةبينهما قسمين : شرقية وعاصمتها القسطنطينية. وغربية وعاصمتها رومه.

أما مصر فأصبحت تابعة للمملكة الشرقية. وظلت المسيحية ديانتها الرسمية الى سنة ٦٤٠م وهى سنة دخول العرب مصر. أى نحو قرنين ونصف قرن. وبقيت الأمة المصرية فى مدة حكم الرومانيين محافظة على لغتها القديمة لا تتكلم الا بها ولو انها قد استعاضت فى كتابتها بالخط الهيروغليفى الحروف اليونانية المستعملة الآن.

ومع سمو تعاليم الديانة المسيحية وبساطة روحها فقد نشأت بين زعمائها مجادلات لاهوتية ومنازعات عقائدية فصمت عرى الوحدة. فنال القبط من جراء ذلك أفدح الخطوب. وبالرغم مما كان ملوك الروم قد أخذوا يبذلونه من الاهتمام بتوحيد الآراء الدينية فى الشرق فقد اشتد الكرب خصوصا فى القرن السادس، واتسعت هوة الخلاف فى مصر بين الأرثوذكسيين والملكيين، وضعفت شوكة الدولة الرومانية الشرقية ضعفا سهل للفرس امتلاك البلاد ردحا من الزمن وبعدهم وجد العرب سبيلا لامتلاكها ايضا فدخلوها سنة ١٩ للهجرة (٦٢٩م) على يد عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب.

الفصل الثامن

الاحتلال الفارسى

من سنة ٦١٧ - ٦٢٨ ميلادية

كان الفرس منذ الجيل الرابع الميلادى يحاولن الكرة بعد الكرة غزو الشام معتمدين على ضعف حكومة بيزنطة ولكنهم فى كل مرة كانوا يعودون بالخيبة. ولما استتب أمر الملك للأمبراطور هرقل ورأى أن الفرس يهددون ملكه وجه قوته لمقاومتهم، غير ان استعداده لذلك لم يفده شيئا فان الفرس فى سنة ٦١١ فى عهد ملكهم ابرويزخسرو بن هرمز أغاروا على الشام فدخلوها واستولوا على انطاكية. وفى سنة ٦١٥ سقطت أورشليم وسائر فلسطين فى أيديهم.

ولما اصبحوا قريبين من مصر أقدموا فى سنة ٦١٧ على غزوها وجهزوا جيشا بقيادة قائد يدعى شاهين سار اليها فى نفس الطريق الذى سلكه جميع الغزاه مثل قمبيز والاسكندر المقدونى ووصل الجيش الى بيلوز (الفرما) فلم تقو على مقاومته فدخلها وانفتح الطريق أمامه الى حصن بابليون وبعد ما استولى الفرس عليه قصدوا الى الأسكندرية مارين بمدينة نقيوس وسائرين بمحاذة فرع النيل الغربى فوصلوا اليها وحاصروها أشهرا الى أن استسلمت لهم بخيانة أجنبى أصله من البحرين كان يتقلى العلم فى الأسكندرية، ويقال انه هو الذى فتح لهم أحد ابواب المدينة ليلا فدخلوها.

وبعد ذلك أخضعوا الصعيد الى حدود النوبة وحلت بأهل مصر شدائد فى أثناء هذا الفتح الفارسى أذ خربت كنائيس وأديرة وقتل كثيرون بسبب مقاومتهم للفاتحين، ولكن هؤلاء بعدما اتموا الفتح رأوا أن يتحولوا من العنف الى اللين فى معاملة أهل البلاد فألانوا جانبهم لهم وسمحوا باعادة تعمير ما خرب من الكنائس واذنوا للبطريرك اندرونيكوس فى ان يعود الى كرسيه فى الأسكندرية وأصلحوا حالة البلاد وكافحوا المجاعة. ولما مات اندرونيكوس انتخب البابا بنيامين بدله فى سنة ٦٢٣ فى ظل السلام والطمأنينة.

وقد زعم بعض الكتاب أن القبط رحبوا بالاحتلال الفارسى ولكن هذا الزعم ينقصه ما استعمله الفرس معهم من القسوة وما أنزلوه بهم من المصائب. ومما قاله ساويرس بن المقفع فى هذا الصدد انه لما كان قائد الجند سائرا الى الأسكندرية وشى له واش بالرهبان القبط الذين كانوا يعيشون فى المغاور بقرب مدينة "نيقيوس" وقال له ان عندهم أموالا كثيرة فحاصر المكان ليلاً وفى الصباح اقتحمه الجند وقتلوا من فيه جميعا. ومن دلائل معاملتهم لأهل البلاد أن بيزانتيوس مطران أبروشية قفط أزعجه ما سمع من أخبار قسوة الغزاة فاختفى هو وتلميذه فى الصحراء حالما وصلت طلائعهم الى قفط وظل مقيما فى مقبرة الى أن علم بهدوء الحال فعاد الى كرسيه.

وقد أشار العلامة بطلر الى هذه التهمة التى عزيت الى القبط وفندها مستعبدا صحتها للأسباب التى بسطها.

وفى سنة ٦٢٧ جهز هرقل جيشا وهجم به فى ما بين النهرين فلما وصل النبأ الى الفرس خشوا أن يقطع هرقل طريق المواصلات بينهم وبين بلاد فارس مكرهين عن مصر فى سنة ٦٢٨. وكان الامبراطور قد أرسل الى مصر بعد وفاة بطريرك الملكيين كورش اسقف فاسيس فى أرمينيا ليكون بطريركا مكانه فجمع فى يديه السلطتين الدينية والمدنية بعد خروج الفرس. وهو الذى دعا المقوقس وحدث على يديه الفتح العربى.

الباب الرابع

مصر تحت الحكم الإسلامى

الفصل الأول

أشهر الرجال والحوادث منذ الفتح العربى

القرن السابع

بنيامين البابا الثامن والثلاثون

من سنة (٦٢٠ أو ٦٢٣ أو ٦٢٥ إلى سنة ٦٦٤م). كان راهباً تقياً أشتهر بالزهد والفضيلة فقدمه رئيس ديره الى البابا أندرونيكوس فاتخذه كاتبا لسره، ولما توفى البطريرك أختير بطريركاً مكانه وكان ذلك فى أثناء الاحتلال الفارسى. وفى السنوات الخمس الأولى من حبريته فى ظل هذا الاحتلال أدار شئون كنيسته بالحزم.

ولما استعاد الأمبراطور هرقل البلاد أراد وضع حد للاختلافات المذهبية فى إنحاء الإمبراطورية وأوفد الى مصر لهذه الغاية كورش أو قيرش أسقف أفاسيس فى أرمينيا فأقام أساقفة خلقيدونيين فى مصر. وكان يقصد بتوحيد المذاهب أكراه قبط مصر على قبول المذهب الخلقيدونى فاستعمل قيرش وأساقفته الشدة فى سبيل تنفيذ مشيئة الأمبراطور وكان قيرش بطريركا ملكيا (خلقيدونيا) وحاكما مدنيا فى وقت واحد.

فلما رأى البابا بنيامين ذلك جمع رجال الأكليروس وحضهم على الثبات فى العقيدة حتى الموت وكتب إلى الأساقفة الأرثوذكسيين ينصح لهم بالاختفاء إلى أن تزول هذه المحنة واختفى هو كذلك فى دير ناء فى صعيد مصر وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة، منها عشر سنوات فى حكم قيرش حاق فى خلالها البلاء بأهل البلاد.

وفى هذه الاثناء فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص فكتب عمرو صكا بالامان نشره فى انحاء مصر يدعو فيه البابا بنيامين الى العودة لكرسيه ويؤمنه على حياته فظهر البابا وذهب الى عمرو فاحتفى به ورده الى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة فأخذ يعمل على أن يسترد الى الحظيرة الأرثوذكسية الابرشيات التى استمالها الملكيون فكلل عمله بالنجاح وكذلك عمّر الأديرة التى خربها الفرس فى وادى النطرون وجمع اليها رهبانها الباقين المشتتين، وفى آخر أيامه أراد إعادة تعمير كنيسة

مارمرقس التى هدمت وقت فتح الأسكندرية فلم تمهله المنية.

وكان البابا بنيامين موصوفاً بحسن التصرف حتى أطلق عليه لقب "الحكيم" وكان هذا من الأسباب التى جعلت عمرا يأنس اليه ويستهدى برأيه فى شؤون البلاد.

المقوقس

أطلق مؤرخو العرب والقبط اسم المقوقس على الشخص الذى كان يحكم البلاد من قبل الامبراطور هرقل فى وقت الفتح العربى ولم يتفق مؤرخو العرب على حقيقة شخصه واسمه وجنسيته بل خلطوا فى ذلك حتى لقبوه بعظيم القبط ودعوه جريج ابن مينا.

والحقيقة أنه كان رومى الجنس واسمه Cyrus قيرش أو كورش وأتى به هرقل من فاسيس فى أرمينيا حيث كان أسقفا عليها وعينه بطريركا ملكيا فى الأسكندرية وكلفه فوق ذلك جباية الخراج أى أنه قلده سلطة مدنية علاوة على وظيفته الدينية والواقع أنه لم يحدث قط أن تقلد حكم البلاد وال مصرى فى عهد الحكم الرومانى واليونانى.

ولبثت حقيقة إسم المقوقس ومنصبه وجنسيته امورا مجهولة أو غامضة مدة طويلة الى أن أمكن الرجوع الى ما كتبه المؤرخون المحققون الذين عاصروا عهده ودونوا حوادث الفتح العربى سواء بالقبطية الصعيدية أو بالبحرية أو بالعربية أذ أظهروا هذه الحقيقة وأقرهم عليها مؤرخو أوربا على الأخص العلامة بطلر المستشرق البريطانى.

الرئيس سانوتيوس «سينوتس أو شنوده» كان عميد القبط يوم دخول العرب فتولى إدارة شؤون الكنيسة مدة اختفاء البطريرك بنيامين وأحسن إدارتها وجمع كلمة الأمة بعد ما كانت الحوادث جعلتها أشتاتا. وبما كان له فى نفس عمرو بن العاص من المنزلة استصدر أمره بتأمين البطريرك على حياته فعاد الى كرسيه كما تقدم.

يوحنا النقيوسى ـ كان أسقفا مصريا لأبرشية نقيوس (ابشاتى بالمنوفية) فى النصف الثانى من القرن السابع وكان مفتشاً للأديرة ومديرا لها وكان كثير الاطلاع على صحف الأقدمين حاصلا على قسم موفور من المعارف الدينية والأدبية والتاريخية ومن أهم مآثرة المؤلف الذى و ضعه فى تاريخ مصر باللغة القبطية ويعد من أفضل كتب التاريخ نظرا لاحتوائه آلاف الحوادث التى حدثت أيام الفتح العربى. ومنها ما حدث فى أيامه وعلى مرأى منه. وقد وجد ما دونه به مطابقاً لأوثق ما كتبه كبار المؤرخين عن تاريخ مصر القديم. وقد ترجم هذا المؤلف النفيس من القبطية الى اليونانية فالعربية فالحبشية ولكن لم تبق من تراجمه سوى النسخة الحبشية التى نقلها عن العربية الشماس غبريال المصرى الراهب وكان قائداً للجيش الحبشى منذ ٣٠٠ سنة واهتم الدكتور زوتنبرج بنشر هذا التاريخ بالغتين الفرنسية والحبشية معاً

القرن الثامن

فى هذا القرن اصيبت الكنيسة بأرزاءعدة. حيث دمرت البيع ونهبت الأديرة وضربت الجزية على الرهبان.

الكسندروس الثانى البابا ٤٣ (٧٠٤ - ٧٢٩م) فى زمن هذا البطريرك ابتدأ الإضطهاد بكل صنوفه وابطلت اللغة القبطية من الدواوين فأصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وذلك بأمر عبد الله بن عبد الملك سنة ٧٠٦ م

خائيل الأول البابا ٤٦ (٧٤٣ - ٧٦٧م) فى زمن هذا البطريرك نقص فيضان النيل فخرج البطريرك ولفيف الاكليروس وجماعة الشعب إلى الشاطئ فى صباح أحد الأيام باكرا. واقاموا الصلاة استدراراً للرحمة من الله وتوسلوا اليه بزيادة الفيضان فاستجيبت صلاتهم وزاد النيل فى ذلك اليوم ذراعاً

القرن التاسع

سانوتيوس الأول (شنوده) **البابا ٥٥** ـ (٨٥٩ - ٨٨٠م) كان هذا البطريرك عالما حكيما تقيا اشتهر فى ايامه أهل مريوط ببدعة فى الدين فما زال بهم حتى هداهم الى الحق. وحدث ان انحبس المطر عنهم إحدى السنين وكانوا يسقون زرعهم بمائه. فأقام الصلاة فى يوم عيد الشهيد مينا "العجائبى" بمريوط فغامت السماء وجادت بالمطر فى ذلك النهار الى ان ملئت الآبار وارتوت الأرض.

وفى أيامه اشتد الاضطهاد على القبط وفرضت الضرائب على الرهبان ورجال الدين واوقاف الكنائس والأديرة وحدث نهب كثير فى هذه الامكنه فاستقر رأى البطريرك ورجاله الأمة على ايفاد رجلين منهم الى بغداد ليبسطا الأمر للخليفة ويطلبا منه ان يصدر امره الى عامله ابن المدبر بأن يرفع المظالم واختاروا لهذه المهمة اثنين من غير موظفى الديوان احدهما يدعى ساويرس والآخر ابراهيم، وزودهما البطريرك بكتاب للخليفة فأجاب الخليفة سؤالهما وسلمهما امراً بمعافاة الرهبان وخدام الدير من الجزية وتخفيضها عن باقى الناس ولما نزل المعتز عن الخلافة وخلفه المهتدى عادت الأحوال فساءت فى مصر فرجع ابراهيم الى بغداد وظفر من الخليفة بأمر يؤيد الأول.

ابن كاتب الفرغانى المهندس ـ نبغ فى هذا القرن مهندس قبطى اسمه سعيد بن كاتب الفرغانى من قرية تدعى فراغونيس اندثرت معالمها كانت قريبة من قرية تدعى كفر الشيخ وهو الذى تولى فى عهد أحمد بن طولون بناء مقياس النيل والصهريج المعروف بصهريج ابن طولون. وبعد أن أتم بناء المقياس القى فى السجن ونسى أمره. ثم اتفق بعد مدة أن ابن طولون عزم على بناء جامعة الكبير على منوال يحفظه من الغرق والحريق وأراد أن يجعله أعظم وأجمل ما بنى من نوعه فدعا المهندسين والخبراء وشاورهم فى أمر بنائه فرأوا أن الجامع يحتاج الى ثلاث مئة عمود وهذه الأعمدة لا يسهل الحصول عليها الا اذا هدم عدد عظيم من الكنائس والمعابد القديمة. وسمع ابن كاتب الفرغانى بالخبر وهو فى السجن فكتب الى احمد بن طولون يعرض عليه استطاعته بناء الجامع بغير حاجة الا

الى عمودين أثنين لا غير وإبدال بقية العمد بدعائم من الآجر لما للآجر من خاصة مقاومة الحريق. فلما قرأ ابن طولون عريضته دعاه اليه وقبل العمل بمشورته وطلب منه أن يضع نموذجا مجسما لذلك البناء الضخم فصنعه ابن كاتب من الجلد. ولعله أول من فكر فى عمل نماذج مجسمة للابنية من هذا النوع قبل البدء فيه، فسر ابن طولون وعهد اليه فى بناء الجامع وعدل عن الرأى القائل بهدم الكنائس وأخذ الأعمدة، فنجت الكنائس بمهارة ذلك المهندس وسداد رأيه وجعل تحت تصرفه مئة الف دينار على ان تزاد عند الحاجة فتعهد المهندس العمل الى أن أتمه فى رمضان سنة ٢٥٦ هـ (سنة ٨٧٩م) وعند الاحتفال بافتتاحه وزعت الصدقات على الفقراء وأرسلت الهدايا الى مستحقيها فنال المهندس منها عشرة آلاف دينار، وعدا ذلك أمر احمد بن طولون بأن يجرى عليه الرزق مدى حياته.

القرن العاشر

ذاقت الكنيسة طعم الراحة معظم هذا القرن ولكن الأحوال تبدلت فى أواخره. فاضطرمت نار الإضطهاد فى أيام الحاكم بأمر الله فهدم من الكنائس ما هدم وأقفل منها ما أقفل ونهبت الأديرة وحرم على المسيحيين أن يقيموا الصلاة مجاهرة. فاعتنق كثير من نصارى مصر الاسلام غير من استشهد منهم.

ابرآم بن زرعة السريانى البابا ٦٢ (٩٧٥ - ٩٧٨م) حدثت فى أيام هذا البطريرك حادثة جبل المقطم، وتحريرها انه كان للمعز الخليفة الفاطمى وزير اسمه يعقوب بن كلس من بغداد. كان اسرائيلياً وأسلم. وقد وكله على خراج البلاد وكان يبغض المسيحيين ويتحرش بهم كثيراً بغية التنكيل بهم. فوسوس يوما للخليفة أن يدعو أئمة النصارى ليدخلوا معه فى محاجة لعله يصطادهم بكلمة. فعمل المعز برأيه. وكان ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين بين هؤلاء الأئمة. فأفحم ذلك الوزير بقوة براهنه وألزمه الحجة بصحة دين النصارى. فدبر لهم مكيدة أخرى : ذلك انه قال للخليفة ان فى انجيل النصارى آية وهى : "الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل" (مت ١٧ : ٢٠).

فان كان دينهم صحيحا كما يدعون فليأتوا بالدليل على صدق هذه الآية : فدعا الخليفة البطريرك ابرآم واقترح عليه ذلك فطلب أن يمهله ثلاثة أيام للجواب، وخرج من لدنه جزعا حزينا، وجمع رجال الاكليروس إليه وأمرهم بالصوم والصلاة والتذلل أمام الله لكى يكشف هذه المحنة عنهم، واعتزل هو كذلك فى كنيسة المعلقة صائما مصلياً. فأرشده الله فى حلم إلى رجل عامى اسمه سمعان الخراز كان مشهوراً بالقداسة فجاء هذا الرجل وطيب خاطر البطريرك. وقال له ادع الخليفة وقواده فى اليوم المعين واخرج انت والكهنة والشعب الى حيث جبل المقطم. وفى نهاية القداس خروّا جميعا على وجوههم هاتفين كيرياليصون "يارب ارحم" فتحرك الجبل عندئذ مما يلى تل الكبش بين القاهرة والفسطاط بزلزلة عظيمة انخلع لها قلب الخليفة وسقط وهو وقواده مغشيا عليهم.

وكانت هذه الحادثة سببا فى رضى الخليفة، فرفع المظالم وأجاب البطريرك إلى كل ما سأله إياه ولا سيما إعادة بناء كنيسة المعلقة ،كنيسة القديس مرقوريوس بمصر.

ساويرس بن المقفع كان اسقفاً لكرسى الاشمونين بمركز ملوى باقليم اسيوط وكان من العلماء العاملين. قضى حياته فى التأليف والترجمة بما كان له من رسوخ القدم فى العلوم واللغات. وأشهر الكتب التى تركها "تاريخ البطاركة" وقد جمعه باللغة القبطية من السجلات التى وجدها بدير أبى مقار ببرية شيهات وبدير نهيا بالجيزة وغيرهما من الأديرة. ثم نقله إلى العربية وترجم هذا التاريخ إلى كثير من اللغات الأوربية، وله عدا التاريخ اثنان وعشرون مؤلفا نقل معظمها إلى دور الآثار بأوربا.

قزمان بن مينا الملقب بأبى اليمن كان من كبار رجال الحكومة فى خلافة المعز لدين الله وقد كان فى الوزارة وقتئذ يعقوب بن كلس الذى مرت الإشارة إليه، فلما رأى أن العزيز بالله الذى ولى الخلافة بعد المعز يميل إلى أبى اليمن خشى أن يستؤزره مكانه. واتفق أن خلا منصب ولاية فلسطين وكانت تابعة لمصر. والخليفة يفكر فى من يصلح لهذا المنصب فاغتنم الوزير يعقوب هذه الفرصة لابعاد أبى اليمن عن مصر وسعى إلى اقناع العزيز بأن أبا اليمن خير من يصلح لذلك لاستقامته وطهارة ذمته وحسن تدبيره فحسن الرأى لدى العزيز وولىّ أبا اليمن حكومة فلسطين.

وحدث بعد ذلك أن رجلا يدعى هفتكين من بغداد أغار على الشام واستولى على جانب عظيم منها وهزم الجيوش المصرية التى كان يقودها جوهر، فلما شعر بذلك أبو اليمن خشى العاقبة فجمع ما كان فى خزانة الولاية من المال والنفائس وقيمتها مئتا الف دينار وأخفاها فى دير وانتهت الحرب باضطرار القائد جوهر الى عقد الصلح مع هفتكين. فاتخذ يعقوب بن كلس من هذا الصلح فرصة للوقيعة بأبى اليمن، فنسب اليه الخيانة واغتيال أموال الولاية ليحمل الخليفة على قتله.

ولم يرضَ العزيز بالصلح الذى عقده جوهر فقام بنفسه على رأس الجيش وحارب هفتكين وانتصر عليه، وعندئذ بادر أبو اليمن وتقدم الى الخليفة ومعه الأموال التى كان قد حرص عليها وسلمها اليه. فشكر له العزيز أمانته وأقره فى منصبه، وقبل عودته إلى فلسطين أعطى أمواله للبابا ابرآم بن زرعه لينفقها على الكنائس والأديرة. وعاش أبو اليمن بتولا حتى مات، وكان رجلا نزيها حكيما زاهدا فاضلا تقيا.

القرن الحادى عشر

زخرياس البابا ٦٤ (١٠٠٤ - ١٠٣٢م) ـ أقر مجمع الأساقفة واكليروس الأسكندرية وأعيان الشعب على تكريس الأب زكريا أحد كهنة كنيسة الملاك ميخائيل فى الأسكندرية فى سنة ١٠٠٤ فأعتلى كرسى البطريركية وذلك فى أيام الحاكم بأمر الله. وقد كان هذا البابا عاقلا وديعا متواضعا محبا للسلام واشتهر بالفضيلة وأجرى الله على يديه عجائب كثيرة. وقد لقى من الحاكم شدة كبيرة كما لقيت الأمة فى أيامه أيضا محنا عظيمة، فانه أمر بهدم الكنائس والديارات ونهبها وقبض على البابا زخرياس اثر وشاية وشى له بها أحد الرهبان المغضوب عليهم والقاه للسباع فلم تؤذه فنفاه الى أحد الأدير الغربية بوادى هبيب وأمره أن لا يخرج منه.

ثم عفا الحاكم عن المسيحيين ومنحهم الحرية المطلقة فرجع الكثيرون الى احضان الكنيسة، وكذا عفا عن البابا بحسن مسعى راهب يدعى بيمين كانت له مكانه سامية عند الحاكم فتسلم الكرسى بعد نفى دام تسع سنوات وفتح الكنائس وتولى تعمير المتهدم منها واستمر على الكرسى الى ان انتقل الى الرب فى سنة ١٠٣٢ فى أيام الظاهر بن الحاكم.

خريسطوذولوس البابا ٦٦ ـ (١٠٤٧ – ١٠٧٧م) خلف هذا البابا سانوتيوس الثانى وهو الذى نقل كرسى البطريركية من الأسكندرية الى القاهرة فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى ليكون قريبا من مقر الحكومة نظراً لما يقتضيه المسند البطريركى من العلاقات الكثيرة بولاة أمور البلاد. وقد جعل الدار البطريركية فى كنيسة المعلقة.

والبطريرك خريسطوذولوس هو أول من زار الحبشة من بابوات الأسكندرية، أوفده الخليفة المستنصر العلوى الفاطمى ليتوسط لدى ملكها فيطلق ماء النيل وقد عاد فائزا من مهمته فخلع عليه المستنصر وأحسن اليه. ولهذا البطريرك قوانين مشهورة، ولما توفى دفن بالمعلقة ونقل جسده الى ابى مقار.

بقيرة الرشيدى الشهير بابن بقر ـ كان من ذوى الغيرة على الكنيسة. سعى لدى الخليفة عند ارتقاء سانوتيوس الثانى مسند البطريركية. فاستصدر منه أمرا برفع الضريبة التى كانت تجى من البطاركة عند توليتهم ومقدارها ستة الآف دينار. وحدث غلاء فى ايامه فكان يطوف الاحياء التى يقطنها العمال والفقراء متفقداً أحوالهم محسنا اليهم. وكان يقضى لياليه فى زيارة المرضى ومواساة المحبوسين

منصور التلباني ـ كان مقدما فى أمور الدولة فى بيت المقدس مدة استيلاء التركمانيين عليها، وابتنى بالقيامة كنيسة قبطية دعا البابا كيرلس الثانى لتكريسها فأناب عنه فى ذلك أحد الأساقفة.

الراهب بيمين ـ كان مقربا من الحاكم بأمر الله وله عليه دالة فسألة يوما ان يأذن له فى بناء دير يقيم فيه هو ومن معه من جماعة الرهبان فأذن له فبنى ديرا بظاهر القاهرة فى طريق حلوان. وهو دير شهران الباقى الى اليوم باسم دير برسوم العريان (محطة المعصرة) وكان الحاكم يتردد على هذا الدير ويقيم فيه اياما يناظر الرهبان ويباحثهم. فلما آنسوا منه الرضى ارسل الراهب بيمين الى البابا زخرياس فاستقدمه من مكان عزلته بوادى هبيب حيث قضى تسع سنوات بأحد أديرته وقدمه الى الحاكم فعفا عنه وأقره فى مركزه كما تقدمت الإشارة الى ذلك

ابو اليمن بن مكرواه ـ كان أميناً على خزانة الخليفة ثم ارتقى الى نظارة الريف فى الوجه البحرى ولقب بأمين الأمناء وهو الذى عمر دير ابى السيفين بطمويه الباقى الى اليوم واحاطه ببساتين واسعة وكان يتردد عليه وزراء الدولة لترويح النفس وتقلد ابنه ابو سعد منصور الوزارة ايام المستنصر الفاطمى، ثم نزل عنها وتولى قيادة العساكر الموالية للخلافة. وخرج للقاء ناصر الدولة زعيم جند الاتراك وحاربه وهزمه ورده الى أقصى الوجه البحرى.

وأشتهر ايضاً فى هذا القرن المعلم سرور جلال وكان ملتزما فى أيام الخليفة المستنصر وذا حظوة عنده لجاهه وسعة حاله وكريم اخلاقه

القرن الثانى عشر

غبريال الثانى البابا ٧٠ – (١١٣١ – ١١٤٥م) هو أبو العلاء صاعد بن تريك كان شماساً فى كنيسة مرقوريوس (أبى سيفين) ولما انتخب بطريركا ذهب إلى دير أبى مقار لزيارته حسب عادة البطاركة فى ذلك العصر، وبينما كان يقيم مرة خدمة القداس أضاف على عبارة الأعتراف التى تقال قبل تناول القربان هذه الكلمات : "وجعله (أى جسد المسيح) واحداً مع لاهوته" فعارضه رهبان الدير وقالوا انه لم تجر لهم هذه العادة. فعقدوا مجمعاً برياسته وتناقشوا فى ذلك طويلا وأخيراً اتفقوا على أن تكون العبارة هكذا : "وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". حتى لا يقع تغيير فى عقيدة الكنيسة. وكان ذلك برهانا على مقدرة الرهبان آنئذ. وقد رسم هذا البابا ٥٣ أسقفاً للأبرشيات فى مدة حبريته.

القس أبوياسرين القسطال ـ كان عالما فاضلا. اهتم باصلاح بعض العادات الدينية والإجتماعية. فأشار فى أمر الزواج بأن يرى الخطيبان كلاهما الآخر، وأذاع ضرورة عدم ختان الأطفال قبل عمادهم، لأن الختان ليس فريضة مسيحية فاضطهد من أجل آرائه هذه وطرد من كنيسة العدوية. ولكن كل ما ألقاه من بذور الإصلاح نبت ونما بعد ذلك.

الشيخ المكين أبو البركات الكاتب المعروف بابن كتامة ـ كان كاتب الدولة فى خلافة الفائز بنصر الله الفاطمى. جدد كنيسة الأربعة الحيوانات فى سنة ١١٧٧م وبنى كنيسة بأسم مارجرجس بأعلى كنيسة ماربقطر ثم جدد بجوارها كنيسة بأسم الشهيد "ابومينا" فى سنة ١١٧٨ كما جدد عمارة دير نهيا بالجيزة.

من اشتهر من الأقباط غير من ذكروا ـ وظهر أيضاً هذا القرن كثيرون من ابناء الأمة القبطية كالأنبا ميخائيل أسقف دمياط صاحب مجموعة القوانيين، والأسعد أبى الخير جرجة بن وهب الشهير بابن الميقاط وقد جدد كنيسة يوحنا المعمدان فى خلافة العاضد الفاطمى ودفن شهيداً فى هذه الكنيسة، والسيدة ترفه من أغنياء مصر القديمة وقد اشتهرت بالتقوى والغيرة الدينية والمحبة المسيحية. ومن مآثرها أنها أقامت كنيسة باسم القديس أبي نفر السائح من مالها الخاص. وبنت بأعلاها محلا فسيحاً ليكون ديراً للراهبات، وأبو المليح الشهير بمماتى وقد أشتهر بالغنى وفعل الخير والاحسان، وغيرهم كثيرون تركوا لهم ذكرى عطرة فى التاريخ.

القرن الثالث عشر

بلغت الكنيسة فى هذا القرن، بالرغم مما صادفها فى الماضى، أعلى مراتب التقدم والنجاح، فنبغ من أبنائها عدد جم من الأذكياء والمجتهدين الذين تمكنوا من ناصية الأدب العربى فضلا عن اللغات والعلوم الأخرى، فوضعوا الكتب النفيسة فى كل فن ومطلب حتى دعى هذا الجيل بالعصر الذهبى لهذا السبب. ولكن الحال لم يدم كذلك لسوء الحظ فأن دولة المماليك البحرية أوقعت أشد الإضطهاد على الكنيسة فى آخر النصف الثانى من هذا القرن، فنقص عدد القبط نقصاً عظيماً.

واليك اعظم الرجال الذين اشتهروا فى القرن الثالث عشر :

كيرلس الثالث الشهير بابن لقلق البطريرك ٧٥ ـ (١٢٣٥ – ١٢٤٣م) كان هذا الرجل عالماً

مقتدراً ولكنه كان محباً للمال فطمع فى الرتبة البطريركية ولم يهدأ إلا بعد ما ظفر بها رغم أنف الشعب ثم لما نالها جعل الاستبداد شعاره حتى اسخط عليه نفس انصاره وبلغ من شدة استياء الأساقفة والشعب من أعماله ولا سيما من بيعة الرتب الأسقفية بالمال، ان هبوا فى وجهه والزموه عقد مجمع اكليريكى فعقد المجمع فى ١٦ توت سنة ٩٥٥ش (١٣ سبتمبر سنة ١٢٣٨م) وكان الصفى بن العسال كاتم سره وهذا المجمع هو الذى وضع القوانين المعروفة بقوانين كيرلس بن لقلق. واهمها القوانين الآتية :

(١) تحريم بيع الوظائف الدينية وعدم تقليد الأسقفية إلا لمن كان مشهوداً له بالعلم والتقوى وحسن السيرة والتدبير.

(٢) نهى قضاة الشرع المسيحى عن قبول الهدايا.

(٣) جمع القوانين الخاصة بالزواج والمواريث والوصاية وغيرها فى كتاب لاتباعها فى الاحوال الشخصية.

(٤) تقرير عقد مجمع اكليريكى عام سنويا، فى الأسبوع الثالث بعد العنصرة، من الأساقفة وفضلاء الشعب.

(٥) رد الكنائس التى كان البطريرك قد اختص بها نفسه ال ابرشياتها.

(٦) عدم قبول شكوى على راهب بلا تحقيق.

(٧) منع العلمانيين من الفصل فى قضايا الرهبان بل يكون الحكم لرؤساء الأديرة أو من يقوم مقامهم ولاسيما من المؤمنين المعتبرين العارفين.

(٨) عدم قطع أى أسقف من رتبته إلا بعد انذاره ثلاث مرات.

وبعد تقرير هذه القوانين حاول البطريرك كيرلس أول الأمر أن لا يقيد نفسه بها فهدده الاساقفة بقطع كل علاقة معه اذا هو لم يخضع لها فاضطر الى التوقيع عليها.

القديس برسوم العريان ـ كان ابوه كاتب الملكة شجرة الدر. وقد ترك له اموالا طائلة فزهد فيها وانصرف الى العبادة ثم حبس نفسه بقرب كنيسة القديس مرقوريوس (ابى سيفين) وهده المغارة باقية الى اليوم الى يمين الداخل الى الكنيسة من بابها الكبير البحرى، وانكبّ على ممارسة الصوم ورفع الصلوات فسمع الناس به وقصده المرضى من كل فج، فأجرى الله على يديه آيات الشفاء. وفى أيامة وقع اضطهاد على المسيحيين بمصر فأُقفلت الكنائس ومنعت الصلاة بها ولكن القديس ظل مواظبا على تأديه الصلاة بالكنيسة، فاستقدمه الحاكم وأمر بجلده وحبسه وبعد ما لبث فى السجن أياما أطلق سبيله فعاد إلى الكنيسة ورفع الصلوات الحارة إلى الله لانقاذ شعبه من هذا البلاء فاستجيب دعاؤه وزال الاضطهاد وفتحت الكنائس. وفى آخر حياته انفرد بدير شهران بالمعصرة ممارسا اعمال التقوى والبر الى ان انتقل إلى دار البقاء فاحتفل بدفنه البابا يوحنا الثامن البطريرك الثمانون وأودع جسده كنيسة الدير، ولذا دعى دير شهران بدير "برسوم العريان" الى اليوم.

أبناء العسال ـ نبغ فى مصر فى هذا القرن أيام حكم الدولتين الفاطمية والأيوبية أخوة ثلاثة عرفوا

بأولاد العسال وهم :

الشيخ الرئيس مؤتمن الدولة أبو اسحق

والشيخ الحكيم الاسعد أبو الفرج هبة الله

والشيخ الصفى أبو الفضائل الأمجد.

وثلاثتهم ابناء فخر الدولة ابى الفضل اسعد بن ابى اسحق ابراهيم بن أبى سهل جرجس بن ابى اليسر يوحنا من قبط مصر. ومسقط رأس جدهم الأول مدينة سدمنت باقليم بنى سويف على ما يظن وكانت أقامتهم بمحروسة مصر.

ولا يعرف باليقين الوظيفة التى كان يشغلها كل من الاثنين الاولين غير انه من المحقق انهما كانا من أكابر الأمة وممن لهم منزلة رفيعة لدى الدولة الحاكمة ولا سيما أبو اسحق الذى كان مصاحبا للأيوبيين فى الشام. أما الأمجد فقد كان كاتب ديوان الجيش وهو الذى انتخب كاتبا لسر المجمع الاكليريكى الذى عقد فى أيام البطريرك كيرلس بن لقلق على ما مر بك وذلك لعلو كعبه فى العلوم الشرعية والدينية.

وكان الأخوة الثلاثة من صفوة العلماء فى عصرهم اذ كانوا ملمين الماما تاما بأصول اللغة العربية وعلومها وآدابها. وقد أجادوا أيضا من اللغات : القبطية واليونانية والسريانية، ومن العلوم : الرياضية والفلك والتاريخ والطبيعة والتركيبات الكيمائية وكذلك كان لهم علم بفن التصوير وتضلعوا خصيصا فى المعارف الدينية العقائدية التاريخية والأمور الشرعية. وتدل المؤلفات التى تركوها على سعة فى الأطلاع وطول باع فى البحث والتحقيق وعلى رغبة فى الأفادة، وميل الى الخدمة. ولذلك شهد لهم رجال الفضل والعلم فى العالم بالاقتدار وأحلوهم مكانا عليا من الاجلال والاعتبار.

وهذا ما عثر من مصنفاتهم :

أولاً : للأسعد أبى الفرج هبة الله :

(١) مسقدمة (أجرومية) فى اللغة القبطية.

(٢) مقابلة وتصحيح لتراجم الأناجيل الأربعة.

(٣) رسالة فى مقدمة رسائل بولس التى صنفها أخوة المؤتمن.

(٤) كتاب فى الحساب الأبقطى وفيه بعض القواعد الفلكية والتاريخية وجدول للبطاركة.

(٥) أرجوزة فى هذا الحساب شرحها يؤنس البطريرك السابع بعد المائة.

وقد عبثت الأيدى برسائل ومؤلفات أخرى عن الأنفس بعد مفارقتها لأجسادها.

ثانياً : للصفى أبى الفضائل الأمجد :

(١) كتاب الصحائح فى الرد على النصائح.

(٢) فى الرد على المدعين تحريف الأنجيل.

(٣) جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوى وهو الذى تعتمد عليه الكنيسة اليوم.

(٤) الكتاب الأوسط.

(٥) فصول مختصرة فى التثليث والتوحيد.

(٦) حواش على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن عدى وأجوبته على اعتراضات الشيخ عبد الله الناشئ وغيره.

(٧) أرجوزة فى المواريث. وله كتاب "كفاية المبتدئين فى علم القوانين" ولكن لا أثر له.

ثالثاً : للمؤتمن أبى اسحق

(١) مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين، وهو من أوسع الكتب اللاهوتية.

(٢) التبصرة المختصرة فى اللغة القبطية.

(٣) آداب الكنيسة.

(٤) خطب الاعياد السيدية وغيرها.

(٥) السلم المقفى والذهب المصفى، وهوقاموس قبطى عربى.

(٦) مقدمة فى رسائل بولس

ولهم غير ذلك مؤلفات عدة وأكثرها موجود بدور الآثار بأوربا. ويروى الثقاة أن من بينها مؤلفات فى الطبيعة والكيمياء.

بطرس أبو شاكر بن الراهب ــ ويعرف بأبى الكرم كان شماس كنيسة المعلقة سنة ١٢٦٠م وألف كتاب " الشفا فيما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى" ومقدمة فى التثليث والتوحيد وكتاب ابقطى ذو مقدمة مسهبه بالقبطية والعربية.

شمس الرياسة أبو البركات ابن كبرــ كان قسا لكنيسة المعلقة، وهو عالم فاضل، ألف كتاب "مصباح الظلمة وأيضاح الخدمة وله خطب تتلى فى الكنائس، وقد طبعت حديثا.

القس بطرس السدمنتى ــ كان من علماء اللاهوت الضلعين. ألف كتاب "التصحيح فى آلام السيد المسيح" وله عدة رسائل نفيسة.

علم الرياسة بن كاتب قيصرــ هو الرئيس الأوحد علم الرياسة أبو اسحق ابراهيم بن الشيخ ابى الشتاء بن الشيخ صفى الدولة كاتب الأمير علم الدين قيصر. وضع هذا الشيخ الفاضل مقدمته فى قواعد نحو اللغة القبطية معروفة بكتاب "التبصرة" وألف كتاب فى تفسير الرؤيا.

ابن الدهيرى ــ هو خريسطوذولوس مطران دمياط وكان ثقة فى اللغة القبطية أذ وضع مقدمة لقواعدها النحوية معروفة باسمه

القرن الرابع عشر

كان هذا القرن شؤما على الكنيسة، خربت فيه البيع تخريبا فظيعا وصودرتت ممتلكتها وهدم معظم الأديرة وضوعفت الجزية على القبط، وقتل من قتل وأسلم من أسلم حتى أشرفوا على الفناء وكان

للكنائس أوقاف تبلغ نحو ٢٥ ألفا من الأفدنة أخذها الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون من المماليك البحرية وأنعم بها على الأمراء. ولم يأت آخر القرن حتى كانت أبرشيات كثيرة فى الوجه البحرى قد تلاشت لانقراض انصارها ومن مشهورى هذا القرن :

متاؤس الكبير البابا ٨٧ ـ (١٣٧٨ - ١٤٠٨م) ـ كان رجلا قديسا تعبد فى دير انطونيوس اولا، وكان يدعى القس متى. وقد قبض عليه أحد الأمراء مع بعض الرهبان واستاقهم إلى مصر واشتد القيظ عليهم في الطريق ولم يكن معهم ماء فطلبوا من الأمير أن يعطيهم جرعة مما معه فأبى وتركهم يهلكون ولكنهم صلوا وتضرعوا فأرسل الله اليهم الغيث فشربوا وارتو وقبل أن يصلوا إلى القاهرة صدر أمر السلطان بالعفو عنهم فمضى القس متى الى دير المحرق، وكان رهبانه عائشين عيشة الترف فما عتموا أن اقتدوا بسيرة هذا الفاضل وظل بالدير حتى اختير بطريركيا فأصلح شؤون الرهبانية ولكنه لقى متاعب جمة مدة رياسته.

القديس أبو فريج الشهير بأنبا رويس ـ ولد فى احدى قرى اقليم الغربية. وفى سن العشرين هاجر الى الوجه القبلى وعاش عيشة الزاهدين فأحبه الناس وأجلوه، ثم ترك الصعيد وجاء إلى القاهرة فقبض عليه هو وجماعة من المؤمنين وطرحوا فى السجن، وحاقت بهم تجارب غير قليلة كان القديس يقوى زملاءه على احتمالها الى أن أطلق سبيلهم بوساطة البطريرك البابا متأوس الكبير فأخذ يجول معلما واعظاً بأقواله وقدوته الصالحة، وفى آخر أيامه اعتزل العالم متفرغاً للصلاة والتأملات الروحية فصنع الله على يديه آيات شفاء كثيرة. وأخيراً رقد فى الرب سنة ١٣٩٧م. وأودع جسده دير العذراء بالخندق وهو المعروف الآن بدير انبا رويس.

القرن الخامس عشر

نزل بالقبط فى هذا القرن كثير من الارزاء ففى سنة ١٤٨٤ هجم عرب الوجه القبلى على ديرى انطونيوس وبولا وقتلوا معظم رهبانهما وأحرقوا الكتب النادرة التى كانت بهما ففقدت بذلك أكثر التواريخ والتآليف.

السعى لاتحاد الكنائس الشرقية والغربية ـ ومن أهم ما جرى فى هذا القرن سعى الكنائس الشرقية والغربية الى اعادة وحدتها، وازالة ما بينها من التقاطع، وقد عقد لذلك مجمع فرارا وفلورنسا بايطاليا سنة ١٤٣٨ - ١٤٣٩م إلا ان هذه الامنية لم تتحق لسوء الحظ وقال بعض المؤرخين ان الكنيسة القبطية والحبشية كان لهما ممثلون فى هذا المجمع.

القرن السادس عشر

فى سنة ١٥٨٣م أوفد بابا رومه بعثه الى مصر لحمل الكنيسة القبطية على الاتحاد بكنيسته فعقد البطريرك وكان وقتئذ يؤنس الرابع عشر البابا ٩٦ (من ١٥٧٤ - ١٥٨٩م) مجمعا لم يوافق اعضاؤه على هذا الاتحاد فاخفق المسعى ولكن بابا رومه عاد فجدد دعوته لخلفه البطريرك غبريال الثامن البابا ٩٧ (من ١٥٩٠ - ١٦٠١م) فلم تصادف الدعوة موافقة فى هذه المرة ايضا. لان البابا كان يطلب ان يخضع القبط لعقيدة كنيسته ولسلطانه بدعوى انه الرئيس العام للكنيسة المسيحية، وهى دعوى لم يقبلها الذين اشتروا استقلالهم الدينى بدمائهم.

القرن السابع عشر

كانتت حالة الكنيسة فى هذا القرن هادئة على نوع ما وعاش القبط مع اخوانهم المسلمين المصريين بصفاء، مشاركين اياهم فى السراء والضراء، غير ان حصتهم فى المصائب كانت أوفر من حصة مواطنيهم. وذلك من جراء زيادة الجزية وعسف الولاة فى طرق جبايتها.

وممن اشتهر فى هذا الجيل :

مرقس الخامس البابا ٩٨ ـ (١٦٠٢ - ١٦١٣م) كان هذا البطريرك عالما متشرعا، ولكن أحوال القبط الداخلية كانت فوضى فان اقباط الوجه البحرى نزعوا يومئذ الى فكرة تعدد الزوجات ورفضوا فريضة الصوم وطلبوا من البطريرك ان يقرهم على ذلك فأبى فثاروا عليه وتمكنوا من خلعه وطلبوا من الحكومة فحبسته فى الأسكندرية، ثم انتخبوا بطريركا سواه، ولكن هذا التصرف اغضب قبط القاهرة والصعيد فبادروا إلى رفع شكوى من ذلك للوالى وسألوه ان يطلق سبيل البطريرك مرقس فاجابهم إلى سؤالهم، فأصر قبط الوجة البحرى على عدم الخضوع له وانقسمت الأمة الى حزبين، لكل منهما بطريرك، غير ان حزب البطريرك الجديد اخذ يضمحل شيئاً فشيئاً فاضطر إلى الإعتزال فى أحد الأماكن إلى أن توفى وعادت الأمور إلى مجاريها.

يؤنس السادس عشر البابا ١٠٣ ـ (١٦٧٦ - ١٧١٨م) فى عهده استوطن بعض المرسلين الكاثوليك صعيد مصر واجتذبوا اليهم نفراً من القبط الأرثوذكس وأراد قسوسهم الاعتداء على حقوق البطريرك ورفع الأمر إلى الحكومة فوضعت الأمور فى نصابها واقرت البطريرك على حقه فى الانفراد بإدارة شؤون أبناء كنيسته. وفى أيامه بنيت الدار البطريركية فى حارة الروم ونقلت اليها من حارة زويلة وأرسل المعلم لطف الله وهو من اكابر القبط يؤمئذ يسترضى السلطان بالهدايا الى ان رفع الضريبة المطلوبة لبيت المال عن كنيسة حارة الروم.

القرن الثامن عشر

بعدما استراحت الكنيسة بعض الراحة فى أوائل هذا القرن بدأت جيوش الشدائد تكتنفها من كل جانب ففرضت الضرائب الباهظة على المسيحيين واستمرت الحال هكذا طول مدة النزاع الذى نشب بين الترك ومماليك مصر الى ان دخل الفرنسيون البلاد.

واليك أشهر رجال هذا القرن :

مرقس الثامن البابا ١٠٨ ـ (١٧٩٧ - ١٨٠٩م) فى أيامه دخل الفرنسيون مصر سنة ١٧٩٨م وتأسست حكومة محمد على بعد خروجهم، وهو الذى نقل الدار البطريركية من حارة الروم إلى مكانها الحالى بالأزبكية سنة ١٥١٥ ش - ١٧٩٩م وعندما إرتقى الكرسى وجد عادات ذميمة شائعة فى شعبة فالف بضع مقالات فى موضوعات دينية شتى تقرأ فى الكنائس حض فيها على نبذ تلك العادات واوصى بالتحلى بالفضائل وفى أخر أيامه نقص الفيضان فصلى الى الله هو ورجال الاكليروس فزاد النيل. كما حدث مثل ذلك فى الجيل الثامن أيام خائيل الأول البابا ٤٦. والبطريرك مرقس هو أول من دفن فى كنيسة الأزبكية من البطاركة.

المعلم ابراهيم الجوهرى ـ هذا الرجل العظيم من مفاخر القرن الثامن عشر، وقد عاصر الأنبا يؤانس السابع بعذ المئة فى عدد بطاركة الأسكندرية. كان فى أول أمره كاتباً لأحد الأمراء المماليك ثم عين كاتباً لمحمد بك أبو الدهب ورقى رئيساً لكتاب القطر المصرى فى عهد ابراهيم بك شيخ البلد. وكانت هذه الوظيفة أكبر وظيفة حكومية فى ذلك الوقت. واستمر بها إلى أن أوفدت الدولة العلية حسين باشا القبطان لمقاتله ابراهيم بك ومراد بك ففرا إلى الصعيد الاعلى ومعهما صاحب الترجمة وفى أثناء ذلك أخذ قبطان باشا يوقع بأهل البلاد ولاسيما المسيحيين منهم ويسومهم صنوف الظلم، فاختفت زوجة المعلم ابراهيم الجوهرى من وجه هذا الطاغية، ولكن سماسرة السوء أخذوا يتقصون أمرها حتى علموا بمكان اختفائها وأكرهوها على تسليم ما فى حوزة زوجها من الامتعة الغالية الثمن فاستولوا عليها وباعوها بمال طائل، وانتهت هذه الحوادث الإليمة بعودة قبطان باشا الى الأستانة فعاد ابراهيم بك ومراد بك الى القاهرة وعاد معهما المعلم ابراهيم واستقر ثانية فى منصبه وبقى ناهضاً باعبائه خمس سنوات ثم انتقل إلى رحمة الله سنة ١٢٠٩ هجرية (١٧٩٤ – ١٧٩٥م) على قول الجبرتى. وفى ٢٥ بشنس سنة ١٥١١ ش (يونية سنة ١٧٩٦م) على قول الأنبا يوساب أسقف جرجا المعروف بابن الابح، ودفن بدير مارجرجس بمصر القديمة.

وكان المعلم ابراهيم الجوهرى رجلا تقيا فاضلا خادما للجموع فاشتهر فى حداثته بانه كان يكترى الخطاطين على نفقته ويكلفهم خط الكتب الكنسية لكى يهديها الى البيع والأديرة، ولا تزال هذه الكتب باقية الى اليوم وبعضها فى مكتبة الدار البطريركية وبعض آخر فى كثير من الكنائس. ولما ارتفع مقامه فى الحكومة توسل بما له من المنزلة فى نفوس الولاة ورجال القضاء الشرعى فاستصدر الفتاوى بترميم ما تهدم من البيع والأديرة وكان ينفق على هذه الترميمات والتعميرات من ماله الخاص ويبتاع العقارات الكثيرة ويحبس ريعها على هذه الأماكن المقدسة.

والمعلم إبراهيم الجوهرى هو صاحب المسعى فى سبيل الحصول على ترخيص ببناء الكنيسة الكبرى الحالية بالأزبكية. وتفصيل ذلك ان احدى أميرات البيت السلطانى فى الاستانة قدمت مصر مارة فى طريقها الى الحجاز لقضاء مناسك الحج.

فتولى المعلم بنفسه خدمة الأميرة السلطانية وقدم اليها حال سفيرها هدايا نفيسة فارادت ان تكافئه على صنيعه مكافأة ترفع شأنه فى السلطنة، ولكنه التمس منها مجرد استصدار فرمان سلطانى ببناء الكنيسة وطلب طلبات اخرى لخير القبط واكليروسهم فصدرت الإرادة السلطانية بما طلب غير ان المنية عاجلته قبل ان يشرع فى بناء الكنيسة، فتولى ذلك اخوه المعلم جرجس.

وكان الرجل مبسوط الكف كريم النفس، ففضلا عن عظيم عطفه على البؤساء وشدة اهتمامه باسعاف اهل الحاجة جرى على عادة ارسال الهدايا الفاخرة إلى الأكابر والأمراء فى الأعياد والمواسم، فاكتسب بذلك وباخلاقه الكريمة قلوب الجميع واحبه ابراهيم بك حبا جما وأولاه ثقة لا حد لها. ولما مات حزن عليه شديداً وسار بنفسه فى موكب جنازته.

وتوجد فى الدار البطريركية قائمة مكتوبة عن أيامه دونت فيها ممتلكاته وجهات البر التى وقفها عليها وقد بلغت عقود الوقف بحسب هذه القائمة ٢٣٨ عقدا وبلغت اثمان العقارات الموهوبة للفقراء

٤٥ الف ريال بعملة تلك الأيام.

وقد كتب عنه الجبرتى فى تاريخه يقول : "انه ادرك بمصر من العظمة ونفوذ الكلمة وبعد الصيت والشهرة مالم يسبق مثله لغيره من أبناء جنسه وكان من دهاقين العالم ودهاتهم ولا يغرب عن ذهنه من الأمور الخ".

وقال عنه الأنبا يوساب أسقف جرجا المشار إليه آنفا "انه كان أكبر أهل زمانه وكان محبا لله يوزع كل ما يقتنيه على الفقراء والمساكين ويهتم بتعمير الكنائس وكان مسالما لجميع الطوائف قاضيا حاجات الكافة لا يميز فى الحق واحداً عن آخر".

المعلم جرجس الجوهرى : هو شقيق المعلم ابراهيم الجوهرى كان من مشهورى القبط فى اواخر حكم القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر وقد رأس إدارة الأعمال الكتابية فى الحكومة المصرية فى أواخر حكم المماليك وفى أيام احتلاله الفرنسيين وفى اوائل مدة حكم محمد على، اذ خلف اخاه المعلم ابراهيم فى رياسة الدواوين فى عهد الاميرين ابراهيم بك ومراد بك وكان مساعدا له فى ذلك ولما جاء الفرنسيون كان فى اعتبارهم عميد القبط فاجلوه واحترموه. واستصحبه نابليون بونابرت الى السويس فى احدى المهام ثم ولى الحكم محمد على باشا فنال لديه المقام الأول، غير ان الوالى تغير عليه بعد ذلك بسبب عدم مهارته الى جباية كل ما كان يطلبه من الضرائب ولعل ذلك كان شفقه من المعلم جرجس على الاهالى، بالرغم من أن محمد على كان فى شدة الحاجة إليه فقبض عليه وعلى من معه من القبط بحجة أن فى ذمته مبالغ متأخرة من حساب التزامه، ودعا المعلم غالى كاتب الالفى واسند إليه الرياسة مكانه وبعدما راجع المعلم غالى حساب الجوهرى أمر الوالى بالافراج عنه، على شريطه دفع مبلغ طائل فرضه عليه فاضطر بسبب ذلك الى بيع كثير من ممتلكاته فى الازبكية وقنطره الدكة ثم لجأ الى الوجه القبلى، ويقال أن محمد على نفاه اليه وبعدما قضى هناك أربع سنوات أذن له فى العودة إلى القاهرة فعاد فى ١٣ شوال سنه ١٢٢٤ هـ (نوفمبر سنة ١٨٠٩م) فقوبل مقابلة حسنة وكان المعلم غالى قد اعد له داره وجهزها بالاثاث والرياش. ولما وصل تقاطر وجوه المدينة من جميع الملل للتسليم عليه ولما قابل الباشا أكرمه غير انه لم يعش بعد ذلك بل قضى فى سنه ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) ودفن بدير مارجرجس بمصر القديمة بجوار أخيه بمدافن العائلة.

وكتب عنه الجبرتى : "انه كان نافذ الكلمة واسع الحرمة عظيم النفس" أما خدماته لشعبه فلا تقل عما أداه له اخوه المعلم ابراهيم اذ كان شريكه فى تعمير الكنائس والأديرة ووقف العقارات عليها الى غير ذلك من وجوه البر والاحسان.

وللمعلم جرجس صورة تمثله بحجمه الطبيعى بدار الآثار بفرساى بجوار باريس فى القاعة الشرقية يؤخذ منها انه كان ربعة ذا لون قمحى وعينين عسلتين ولحية سوداء وكان يعتم بعمامة من الكشمير الأحمر القائم فيها نجوم ذهبية مشغولة بالقصب ويرتدى "فراجية" من الجوخ البنى وفى يده عود طويل للتدخين كعادة تلك الأيام.

يوساب أسقف جرجا وأخميم ـ اشتهر هذا الآب الفاضل الذى كان يعرف بابن الابح بتضلعه فى العلوم اللاهوتية وسعة الاطلاع مع التقوى. وقد ناضل عن الكنيسة لما أراد بابا رومه اخضاعها

لسلطانه وحامى عن تعليمها وعقيدتها الأرثوذكسية واصدر فى ذلك رسالة إضافية وأشهر مؤلفاته "سلاح المؤمن"

المعلم رزق ـ كان كاتب الجمارك ولما انفرد على بك احد كبار المماليك بالأحكام جعله ناظراً على دار الضرب (سك النقود) واتخذه مشيرا له فى تدبير الأمور وكان للمعلم رزق المام بعلم الفلك واتفق ان وصل الى مصر فى أيامه رحالة انكليزى اسمه "بروس قاصداً السياحة فى الحبشة فصادر رجال الجمرك امتعته استيفاء للرسوم فاستصدر المعلم رزق أمراً من على بك باعفائه من دفع هذه الرسوم وبتسهيل مهمته، فأراد بروس ان يعترف للمعلم رزق بجميل صنيعه فقدم اليه هدية نفيسة ولكنه ردها اليه مصحوبة بهدية من عنده وطلب اليه ان يسمح له برؤية ما معه من الآلات الفلكية ويشرح له أمرها وأعد مكانا لائقا بجهة بابلون بمصر القديمة لينزل فيه مدة اقامته بالقاهرة، وأدى له واجبات الضيافة ولما ازمع الرحيل الى بلاد الحبشة زوده بكتاب توصية من البطريرك لملكها.

وكان المعلم رزق رجلا فاضلا عاملا ورئيسا حسن التدبير سديد المشورة، وقد ساعد المعلم ابراهيم الجوهرى فى إدارة شئون البلاد وشاطره اعماله المبرورة لخير الكنيسة.

المعلم يعقوب حنا ـ (١٧٤٥ - ١٨٠١م) ولد هذا النابغة حوالى عام ١٧٤٥ واتخذه سليمان بك احد رجال على بك الكبير وكيلا عاما له على اسيوط. وكانت إدارة هذه الوكالة واسعة الاكتاف متشبعة الأطراف وصفها بعض الكتاب بأنها لا تقل عن وزارة مالية بأقصى حدود الوظيفة وأوسع معانيها.

ولم يكن المعلم يعقوب هذا اداريا حازما أو ماليا قديرا فقط بل كان فوق ذلك بطلا مغواراً وفارسا مهيبا اذا ما استعر لظى الهيجاء، كما كان مفكرا حكيما ومشيرا شديد الرأى اذا ما دعا داعى الفضيلة أو صودفت المعضلات.

كشاف معضلة مغرى بمكرمة	شهما أخانهم فى المجد رغاب
وللندى منه فى يوم القراء يد	تحيل أزمة اجداب لأخصاب
لكنها فى عوان الحرب مستعر	على العدا أججت من غير اثقاب

أجل. لم يكن عمل المعلم يعقوب مقصورا على اعباء ادارته المالية الواسعة بل كنت تراه يخوض غمار الحرب وميادين القتال غير هياب ولا وجل. فقد كان بجانب سليمان بك ـ والدنيا مدبرة ـ حين هرب أمام جيوش الأتراك المنتصرة، كما كان بجانبه ـ والدنيا مقبلة ـ مع مراد بك وقد انهزمت أمامها نفس هذه الجيوش التركية شر منهزم فى واقعة المنشية باسيوط (فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٩٨) وكان وقتئذ فى الحادية بعد الأربعين من عمره.

وحدث بعد هذا ان زحفت الجيوش الفرنسية على مصر فتألب المماليك على المسيحيين وهجموا على بيوتهم وكنائسهم وأديرتهم للتنقيب عن الأسلحة وغيرها وسجنوهم وعذبوهم، فانضم المعلم يعقوب الى قواد الفرنسيين وأفادهم بخبرته المالية والحربية كل الفائدة اذ دبر لهم مؤونة العساكر وملبسهم ودلهم على بعض المواقع الحربية واشترك معهم فى كثير من المواقع.

وتولى القيادة بنفسه فى أثناء حملة الصعيد فى واقعة "عين القوصية" حيث هاجم عدداً من المماليك لا يقل قوة عن عشرة أمثال قوته عدداً وعدة فأبلى بلاء حسناً وكان يوماً مشهوداً قلده فى مسائه "ديسية" قائد نابليون المشهور سيفا كتب على نصله اسم الواقعة فى حفلة رهيبة مهيبة على مشهد من جميع الجيوش، وقد جمعت خصيصا لتلك الحفلة، ومازال هذا السيف باقيا حتى اليوم، لكنه للأسف ليس فى مصر.

وقد أنشأ للفرنسيين أيضا فى حملة الصعيد نظاما بريديا متقنا على الهجن وصل به ما بين فصائل الجيش المتفرقة على طول النيل ما بين القاهرة واسوان، وجعل أسيوط مقره هو والقائد "ديزيه" لوقوعها فى منتصف الطريق تقريباً بين هذين البلدين، وكان معروفا للخاص والعام فى ذلك الأقليم لسابق عهدهم به أيام كان وكيلا لسليمان بك فظهر بمظهر الأمراء العظام الكرام، وكان رحمة الله يحب العز والابهة.

وقد اتصلت أسباب الألفة بين هذين النابغتين يعقوب القبطى وديزيه الفرنسى وتوثقت بينهما عرى المودة والإخاء حتى انه لما قتل ديزيه فى معركة مارنجو (فى نفس اليوم الذى اغتيل فيه كليبر بمصر وهو يوم ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠) وأريد إقامة تمثال له بباريس جمع له من الجيش وحده نيف واربعة وعشرون ألف فرنك وكتب يعقوب إلى القائد مينو كتابا مؤثراً جداً أملاه عليه وجدانه أبدى فيه فرط اسفه وحزنه على فقد "عزيزه" الذى حارب بجانبه لاخضاع أرض "طيبة" وتبرع بثلث قيمة التمثال "مهما تبلغ".

ومما حدث فى أيامه انه بعدما انتصر الفرنسيون على الترك فى واقعة عين شمس ثار سكان القاهرة على الفرنسيين وتسللت فصيلة تركية إلى القاهرة تحت أمرة نصيف باشا، وأرادت التنكيل بالمسيحيين، فأظهر المعلم يعقوب فى هذه الآونة المحزنة شجاعة وحزما عجيبين ودافع الابطال عن بنى ملته. ثم رأى بعد ذلك احتياطاً لمثل هذا الطارئ ان يحصن الحى الذى يقطنه الأقباط فهدم المساكن المجاورة وابتنى قلعة منيعة خلف "الجامع الأحمر" كانت بقاياها ترى إلى زمن قريب وكان يحيط بها سور ضخم تحميه أبراج حصينه ورتب لها القوة اللازمة وجعل لها حرساً من القبط يتناوبون حراستها ليل نهار على نمط الحصون المنظمة.

وكان الفرنسيون فى جميع أدوار حملتهم يجلونه ويقدرون مواهبه العالية قدرها ولما أنعم عليه برتبة "أميرالآى" احتفل به احتفالا خاصاً لائقاً حضره كليبر نفسه وقلده بيده شارة هذه المرتبة العسكرية.

وفى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٠ بعد موت كليبر أسند إليه رسميا لقب "القائد العام للفيالق القبطية" بالجيش الفرنسى وكان وقتئذ فى الخامسة والخمسين من عمره.

ولما جلت الجيوش الفرنسية عن مصر بعد اتفاق القاهرة بين الفرنسيين من جهة والانجليز والترك من جهة أخرى نقلتها المراكب الانجليزية إلى فرنسا وصمم المعلم يعقوب على الخروج معها رغم

سعى القائد التركى "حسين باشا قبطان" لدى القيادة الفرنسية لمنع القائد يعقوب من السفر "حتى لا تحرم مصر مواهبه".

فكان المعلم يعقوب بين الذين سافروا على السفينة بلاس وكان معه اخوه حنين حنا وأمه مارى غزالة وزوجته مريم نعمة وابنته منة ونفر من الأقارب والخدم وعساكر القبط، غير ان المنية وافته فى عرض البحر فى منتصف الساعة السابعة من صباح ٦ أغسطس سنة ١٨٠١ فى اليوم الخامس من اقلاع السفينة عن الشواطئ المصرية اثر مرض لم يمهله ثلاثة أيام.

ونظراً الى مقامه الخاص ورغبة ذويه فى ان لا يدفن الا فى ارض فرنسا لم ينفذ فيه قانون الدفن فى اليم، وإذ لم تكن ثمت معدات للتحنيط احتفظ بجسده فى دن خمر حتى رست به السفينة فى مرسيليا، فدفن فيها فى ١٨ اكتوبر من تلك السنة.

الياس بقطرـ ولد فى اسيوط فى ١٢ ابريل سنة ١٧٨٤ وربى تربية حسنة حتى صار من نوابغ القبط فى ذلك الحين، ولما قدم الفرنسيس مصر استخدموه مترجما فى جيشهم. وعندما رحلوا من الديار رحل معهم. وقد ساعد هذا الشاب علماء الفرنسيس فى وضع المصنف العظيم المسمى "وصف مصر" "de l' Egypte Description" الذى وضعت أصوله البعثة العلمية التى رافقت جيش نابليون، ومن دلائل عرفانهم بقدره انهم عينوه مترجما فى إدارة المحفوظات بوزارة الحربية ثم مدرسا للغة العربية العامية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ولا يزال الفرنسيس يذكرون الرجل بين أعاظم أهل الفضل. ومن آثاره القاموس المسمى باسمه، وقد ألفه بناء على اقتراح علماء التاريخ والأدب بالمجمع العلمى وقدمه الى نابليون سنة ١٨٠٦ وظل منصرفا إلى تمام جمعة حتى سنة ١٨١٤ ثم نقحه ثلاث مرات فى سنى ١٨١٥ و ١٨١٧ و ١٨١٨ ولكنه لم يطبع الا بعد موته، اذ طبعه لأول مرة خلفه فى المدرسة الاستاذ دى برسفال سنة ١٨٢٨. ولعل الياس بقطر هو أول من وضع قاموسا عربيا فرنسياً. وقد الف ايضا نبذة مختصرة باللغة العربية فى طريقة التعليم. وكتاب الحروف العربية مفردة ومتحدة. ومختصرا فى تصريف الأفعال. وأجرومية عربية.

وبعد ان قضى حياته فى التأليف وخدمة العلم توفى حدثاً فقيراً فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٢١ وعمره لا يزيد على ٣٧ عاما.

القرن التاسع عشر

بطرس السابع المعروف بالجاولى البطريرك ١٠٩ (١٨٠٩ - ١٨٥٢م) ولد فى قرية الجاولى بمركز منفلوط بمديرية اسيوط وانتظم فى سلك رهبان دير انطونيوس واشتهر بالتقوى والفضل فاراد سلفه البطريرك مرقس رسامته مطرانا للحبشة فلم يتم له ذلك، فرسمه مطرانا لمصر وجعله الى جانبه بالدار البطريركية يساعده فى إدارة مصالح الأمة وبعد موته خلفه على كرسى البطريركية فى ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ ش - ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٩م. وهو أول البطاركة الذين رسموا فى كنيسة الأزبكية وكان محبا للدرس والمطالعة فى كتب الدين والتاريخ والادب، ولعرفانه بقيمة الكتب كان يعنى بجمعها وخطها وترتيبها والمحافظة عليها وقد كتب عدة مقالات ورسائل باللغة العربية فى موضوعات دينية وتعليمية واجتماعية.

ومن صفاته انه كان محبا لشعبه باذلا غاية جهده فى سبيل خير ابنائه، وكان حليما فى رياسته حكيما فى تصرفاته. رزينا فى مجلسه. مهيبا فى لقائه، وقد اوفدت اليه روسيا احد اعضاء العائلة المالكة يطلب منه ان يجعل الكنيسة القبطية تحت حماية القيصر، فأبى مجيبا زائره بانه يؤثر ان يكون حامى الكنيسة ذلك الملك الذى لا يموت. وقد وثق به محمد على باشا وانعقدت بينهما أواصر صداقة ومودة فتمتعت الكنيسة فى ايامه بالسلام والحرية.

وقد رسم الأنبا بطرس ٢٥ اسقفا للابرشيات. وهو أول من رسم الأساقفة للسودان اثر فتحه سنة ١٨٢٣ بعد ما كان قد تقلص ظل المسيحية منه فى اوائل القرن السادس عشر، وكان يدقق كثيرا فى انتخاب الأساقفة والرعاة فلا يرسم منهم الا الاكفاء، وكان اسم اول الأساقفة الذين رسموا على السودان بعد الفتح الأنبا داميانوس.

ونقص الفيضان ذات سنة فى عهده كما وقع فى أيام سلفه فصلى الى الله فزاد الماء وهو الذى ارسل القس داود (الذى صار فيما بعد الأنبا كيرلس الرابع) الى الحبشة فى مهمة دينية. وكان الأنبا صرابمون اسقف المنوفية المشهور بصلاحه وقداسته معاصراً له. تنيح سنة ١٨٥٢ بعد اثنتين واربعين سنة وبضعة اشهر قضاها بطريركا، تاركا مبلغا طائلا من المال فى خزانة البطريركية استعان به الأنبا كيرلس الرابع على انجاز مشروعاته العظيمة.

كيرلس الرابع البابا ١١٠ ـ (١٨٥٤ - ١٨٦١م) ولد هذا المصلح الكبير حوالى سنة ١٨١٦م بقرية الصوامعة الشرقية من أعمال مديرية جرجا وكان اسمه داود. ولما كبر اشتغل مع والده فى الزراعة وفى هذه الأثناء اختلط بالعربان المجاورين لقريته فتعلم منهم امتطاء صهوات الخيول وركوب الهجن حتى اشتهر فيهم بالفروسية غير انه فى الثانية والعشرين مال الى الرهبانية فقصد الى دير أنبا انطونيوس وأظهر فى خلال اقامته فيه ذكاء وورعا ودعة واصالة رأى فضلا عن ميله إلى مطالعة الكتب، وبعد سنتين من دخوله الدير مات رئيسه فأجمع الرهبان على اختياره لهذا المنصب بالرغم من حداثة عهده. وكتبوا بذلك للأنبا بطرس الجاولى البطريرك فأقرهم على اختيارهم ورقاه إلى رياسة الدير ومن ذلك الحين بدأ يتألق نور مواهبه اذ بادر الى وضع نظام للدير حرم به على الرهبان مغادرته الا لضرورة قاطعة واخذ فى اصلاح احواله الأدبية والمادية واكب فى الوقت نفسه على توسيع دائرة معلوماته واتقان معرفته باللغة العربية ثم فتح مدرسة اولية فى بوش لتعليم الأولاد.

وحدث خلاف بين الأحباش ومطرانهم وهو اذ ذاك الأنبا سلامه، لأنه أراد أن ينهاهم عن عادات اجتماعية مخالفة للذين فابوا الإنتهاء عنها وأبى هو ان يتسامح معهم فيها، وكتب الفريقان للبطريرك فى ذلك فدعا صاحب الترجمة وأوفده لتلك البلاد لحسم هذا الخلاف فأتم مهمته وعاد فى ٧ يوليه سنة ١٨٥٢ بعد غياب سنة ونصف سنة. وكان البطريرك قد توفى فى ٥ أبريل من تلك السنة.

وظل الكرسى البطريركى بلا بطريرك سنة من الزمان واخيرا اختير القمص داود صاحب الترجمة ورسم مطرانا عاما فى اول الأمر. ودعى "كيرلس" وكان ذلك فى ١٧ أبريل سنة ١٨٥٣ وبالنظر لما أظهره من الكفاءة والاقتدار فقد رقى الى الرتبة البطريركية الجليلة فى يونيو سنة ١٨٥٤. أى فى أواخر حكم عباس باشا الأول ولقب بالبطريرك كيرلس الرابع وكانت باكورة اعماله بعد رسامته انشاء

المدرسة الكبرى الباقية الى اليوم ويقال انه انفق على بنائها ٦٠٠ الف قرش وقد اتمها وافتتحها فى سنة ١٨٦٥ . وجعل التعليم فيها بالمجان. وأحضر لها أساتذة لتعليم اللغات القبطية والعربية والتركية والفرنسية والإيطالية والانجليزية. ولشدة اهتمامه بها كان يزور غرف التدريس دائما ويستمع الدروس ويدعو كبار الأجانب لزيارتها وابداء آرائهم فيما يؤول الى تحسينها. ثم انشأ مدرسة للبنات هى أول مدرسة على الطراز الحديث وجدت فى القطر المصرى بعد الفتح العربى. كما انشأ فى حارة السقايين مدرستين احداهما للبنين والأخرى للبنات وبنى كنيسة بها وكان عظيم الإهتمام باحياء اللغة القبطية وتدريسها بهذه المدارس ومن دلائل ذكائه وبعد نظره ابتياعه مطبعة من اوربا للدار البطريركية ولم تكن فى القطر يومئذ إلا مطبعة بولاق الأميرية ولما وصلت أجزاؤها أمر أن يستقبلها الكهنة بملابسهم الرسمية، ولكنه مات قبل أن ينفع امته بثمار هذه المطبعة.

وحدث فى ايامه خلاف بين الحكومتين المصرية والحبشة على التخوم فكلفه سعيد باشا السفر الى الحبشة بمهمة تحديد هذه التخوم. فسافر اليها فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦ واستقبله النجاشى ثيودوروس بموكب حافل على مسيرة ثلاثة أيام من العاصمة، وبينما كان هناك ذهب سعيد باشا بجيشه إلى السودان فبعث الأنبا كيرلس اليه يبلغه بانه نجح فى مهمته فأسرع سعيد باشا الى التراجع بالجيش، أما هو فعاد الى الديار المصرية فى ١٣ فبراير سنة ١٨٥٨ بعد غيبة سنة ونصف سنة.

وبعيد عودته شرع فى تجديد بناء كنيسة الأزبكية ففى مايو سنة ١٨٥٩ وضع الحجر الأول فى اساس البناء بحضور رجال الحكومة واستمر مجدا فى عمارتها الى ان توفى ؟

ومما يذكر له انه كان على احسن صلات الود مع رؤساء جميع الطوائف المسيحية ولاسيما الروم الأرثوذكس حتى انه لما سافر بطريركهم الى الاستانة ذات مرة عهد الى الأنبا كيرلس فى إدارة شئون كنيسته مدة غيابه وقد حاول السعى الى التوفيق بين الكنيسة القبطية والكنيستين اليونانية والروسية الأرثوذكسيتين فلم تمهله المنية حتى يحقق هذه الأمنية فانتقل الى دار البقاء فى ٣٠ يناير ١٦٨١ مأسوفا عليه من شعبه ومن الأجانب الذين عرفوا فضله بعد ما انجز اعمالا خلدت له جميل الذكر فى صحائف الدهر، ومن هذه الأعمال غير المار ذكرها انه أمر باحصاء اوقاف الكنائس والمدارس وقيدها وضبطها وبث روح النشاط والاجتهاد فى رجال الاكليروس ليؤدوا الواجب عليهم، وعين لهم رواتب وغير ذلك.

المعلم غالى ونجله باسيليوس بك ـ كان المعلم غالى رجلا ذكيا حصيفا يجيد التكلم باللغة التركية، فلما عينه محمد على خلفا للمعلم جرجس الجوهرى فى مباشرة (رياسة) الدواوين وكان يعلم ان فى البلاد اراض واسعة يزرعها الناس ولا يدفعون عنها ضريبة، شرع فى مساحة اراضى المملكة (من سنة ١٨١٣ إلى ١٨٢٢) وانشأ لهذا الغرض مصلحة (التاريع) المساحة وقسم الأراضى الى احواض. وجعل لكل بلد منها مقدارا معينا وبهذه الواسطة نمت ايرادات الحكومة من الضرايب.

ثم حدث للمعلم غالى مع محمد على مثل حدث للمعلم جرجس الجوهرى فكان كلما طالبه بجباية اموال طائلة من الأهالى وعجز عن ذلك عزله من منصبه أو نفاه أو زجه فى السجن أو فرض عليه غرامة رابية. وبينما كان سجينا ذات مرة أراد محمد على تنظيم الدواوين على نمط جديد فتذكر

المعلم غالى وأطلقه من السجن وناط به ذلك، فنهض به على ما يرام فاتخذه كاتما لسره. وسلمه إدارة الدواوين الجديدة فارتفع مقامه وعظم شأنه، وبقى فى هذا المنصب الى ان قتل فى ٥ مايو سنة ١٨٢٢.

فدعا محمد على باسيليوس نجله ولاطفه وقال له : أأنت حزين لموت أبيك؟ فأجابه "لم يمت أبى مادام مولاى الأمير حياً" فأعجب به محمد على وأسند اليه وظيفة رئيس المحاسبة فى الحكومة المصرية. وأنعم عليه برتبة (بك) وهو أول من منح هذه الرتبة من القبط.

وعاش باسيليوس بك محبوباً من محمد على إلى أن توفى فحزن عليه الأمير، ولا يزال اسمه مذكوراً بالثناء.

الأنبا صرابمون الشهير بأبى طرحة ـ أصله من مديرية الشرقية. دخل دير انطونيوس راهباً وسلك فى الدير طريق التقوى والفضيلة. ثم انتخب أسقفا للمنوفية فاشتهر وهو أسقف بصفتين ممتازتين : الأولى قوة إيمانه بالصلاة حتى انه كان يخرج الأرواح النجسة.

ومن الحوادث المتناقلة عنه فى ذلك انه كان لمحمد على باشا ابنة تدعى "زهرة باشا" وهى قريبة احمد بك الدفتردار. أصيبت بروح نجس واستعصى على الأطباء شفاؤها وكان الأنبا صرابمون قد ذاع اسمه بما كان يجرى على يديه من معجزات الشفاء، حينما كان ملازما للأنبا بطرس الجاولى البطريرك، فطلب محمد على من البطريرك أن يرسله اليه لكى يصلى من أجل ابنته فصدع بأمره وحقق الله أمل الوالى على يديه. ففرح الوالى به وقدم له صرة من الذهب فأبى قبولها معتذراً ولما ألح عليه فى قبولها أخذ مقداراً منها وأحسن به إلى خدم القصر.

والصفة الثانية التى امتاز بها هى احسانه الى الفقراء واليتامى. ونوادره فى ذلك كثيرة فانه كان يخرج ليلا حاملا على كتفه القمح أو الدقيق أو الطعام ويذهب به الى دار من اخنى عليهم الدهر. وكان يلازم القلاية البطريركية بالأزبكية رغم انه مرسوم على ابرشية المنوفية وذلك لمعاونة البابا بطرس الجاولى فى إدارة شؤون الكنيسة.

وقد شملت أعماله القاهرة وبلاد أبرشيته فى المنوفية. فانه كان معروفا فيها بمعجزاته ومبراته. وقد اشترك فى تذكية ورسامة البابا كيرلس الرابع. وهو الذى رسم البطريرك الأنبا كيرلس الخامس قساً فى دير البراموس سنة ١٨٥٢م وانتقل الى النعيم سنة ١٨٥٦ م.

الأنبا باسيليوس مطران القدس ـ ولد بقرية الدابة بمركز فرشوط بمديرية قنا سنة ١٥٣٤ ش أو ١٨١٨م ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره دخل دير انطونيوس وظل سائراً بالتقوى والغيرة الى ان رسم قساً فقمصاً فرئيساً للدير. وأخذ يدير شؤون الدير بالأمانة والنشاط الى أن كانت سنة ١٨٥٦ فرسمه الأنبا كيرلس الرابع مطراناً للقدس. وكانت رسامته لهذا الكرسى ينبوع بركة ومصدر يمن وخير للقبط فى الأراضى المقدسة فانه عمرّ دير القديس انطونيوس الملاصق لكنيسة القيامة بالقدس وبى به كنيسة وداراً جميلة للبطريركية.

وعمرّ كذلك دير وكنيسة مارجرجس الكائنين بالقدس. وكافح كفاح الأبطال فى سبيل استبقاء دير السلطان للقبط بالرغم من تأييد بعض الدول للأحباش، اذ بذل المساعى فى ذلك لدى حكومات

روسيا وتركيا وانجلترا ومصر وحصل من السلطان عبد الحميد على أمر بتثبيت ملكية القبط للدير وتمكن بجهاده من احاطة الهيكل الذى يملكه القبط الملاصق للقبر المقدس بسياج من حديد مع ما صادفه من مقاومات الطوائف ولا سيما الارمن وابتاع داراً كبيرة معروفة "بالمصبنة" ولكنها ضاعت بعد وفاته.

أما فى يافا فلم يكن للقبط مكان ينزلون فيه بل كانوا اذا زاروا الأراضى المقدسة يتكدسون هم ونساؤهم وأولادهم فى الطرقات أو فى فناء دير الارمن الى أن ينقلهم القطار للقدس ولطالما عانوا مشقات مرة بسبب ذلك، فابتاع الأنبا باسيليوس ارضا واسعة تبلغ مساحتها عشرين فدانا وابتنى بها قصراً شائقاً قائماً على ربوة تشرف على يافا، وابتنى عدة منازل للزائرين، وكنيسة للصلاة وهى الكنيسة التى دفن فى قبر بجوارها. وهذه الأرض هى المعروفة "بالبيارة" حيث غرس معظمها اشجار البرتقال وحفر بئراً ارتوازية وركب على البئر آلة بخارية لرى الحديقة. وتعد بيارة القبط الآن بما فيها القصر من أجمل اماكن يافا.

ولم يشغله كل ذلك عن الواجب عليه لابرشيته الواسعة التى تشمل مديريات الدقهلية والشرقية والغربية (ماعدا مدينة طنطا ومركز كفر الزيات) والقليوبية ومحافظتى القنال ودمياط. فانه كان دائما يفتقد رعيته بها افتقاد الراعى الحقيقى. وقد بنى وجدد بها عدة كنائس.

وكان الأنبا باسيليوس رجلا صالحاً شريف الاخلاق نزيه النفس غيورا غيرة صادقة على مصالح رعيته حتى ذاع صيته فى انحاء القطر وأحبه القبط جميعا وذلك لما عرفوه عنه من سعة الفكر وسداد الرأى والميل الى الإصلاح. وقبل وفاته ببضع سنوات أصيب بالفالج وفى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٩ (١٨ برمهات سنة ١٦١٥) انتقل الى النعيم عن ٨٢ سنة فكان الحزن عليه شديدا.

الايغومانوس فيلوثاوس ابراهيم ـ ولد بمدينة طنطا سنة ١٨٣٧م وبعد ما أتم دراسته الابتدائية اشتغل كاتبا عند أحد التجار. وفى أثناء خدمته اجتهد فى تعليم اللغة الإيطالية. ثم عين كاتبا بمديرية الغربية سنة ١٨٥٥ ولكن نفسه كانت عطشى الى العلم فلم يلبث بهذه الوظيفة الا سنتين، فضل بعدها ان يعود الى التلمذة فدخل المدرسة البطريركية التى أنشأها الأنبا كيرلس الرابع وأتقن بها اللغات القبطية والعربية والإيطالية ولما تخرج منها عين ناظرا لمدرسة المنصورة القبطية فاستاذاً للغة القبطية بمدرسة حارة السقايين وبالمدرسة الكبرى.

وفى سنة ١٨٦٢ اختير قساً لكنيسة طنطا، فأكب على مطالعة مؤلفات علماء الدين حتى نال باجتهاده قسطا وافرا من علوم اللاهوت وفن الوعظ، ووهبته الطبيعة لسانا فصيحا وبديهة حاضرة، فذاعت شهرته فى أنحاء مصر.

وبعدما ارتقى الى رتبة ايغومانوس "قمص" سنة ١٨٦٥ دعاه الأنبا ديمتريوس البطريرك لمرافقته فى رحلته الى الوجه القبلى سنة ١٨٦٧م فأظهر اقتدارا عظيما فى الوعظ المرتجل، وبراعة فى الدفاع عن عقائد الكنيسة القبطية. وبسبب ما كان له من قوة الاقناع رجع الى حضن الكنيسة عدد كبير ممن

وفى اكتوبر سنة ١٨٧٤ انتخبه المجلس الملى راعيا وواعظا للكاتدرائية بالقاهرة ورئيسا لمدرسة انشئت خصيصا للرهبان. وقد اقفلت واعيد فتحها اكثر من مرة فأبدى من الكفاءة، والاقتدار ما زاده رفعة فى العيون. وكان يرجع اليه فى شؤون الأمة فيستشار فى الأمور الهامة وينتدب للمهام الجسام ويطلب رأيه فى المعضلات. وقد أجله ولاة الأمور فى حكومة البلاد وصار اسمه ملء أفواه العباد. وكثيراً ما كان البطريرك يكلفه السفر إلى الجهات للوعظ والإرشاد. وكذلك كلما حدث حادث خطير يحتاج فيه إلى الرأى الثاقب والنظر السديد.

وكان للايغومانوس فيلوثاوس الضلع الأكبر فى النهضة الاصلاحية، واليه يرجع الفضل فى وضع الرسائل والنشرات والمباحث الدينية والأدبية التى كانت تصدرها جميعة التوفيق المركزية ابان تلك النهضة. وكان عدا ذلك من أقوى المدافعين عن عقائد الكنيسة القبطية بازاء المعتدين عليها من رجال الكنيسة الرومانية، فكتب فى هذا الدفاع رسائل ومقالات نفيسة وألف كتباً جليلة.

وكان رحمة الله خطيبا قديرا. واسع العلم. غزير المادة. حاد الذهن. جهورى الصوت. جريئا. قوى الإرادة. فوق ذلك كان كريما جوادا محسنا ـ وأهم ما طبعه من المؤلفات :

(١) تنوير المبتدئين فى تعليم الدين.

(٢) نفح العبير فى الرد على البشير.

(٣) الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية.

(٤) الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية.

(٥) كتاب خطب ومواعظ.

هذا غير ما ألفه ولم يطبع وقد انتقل الى رحمة الله فى يوم الخميس ١٠ مارس سنة ١٩٠٤ تاركاً فراغا كبيراً.

الأنبا ابرآم أسقف الفيوم ـ (١٥٤٥ـ ١٦٣٠ش)(١٨٢٩ ـ ١٩١٤م) ولد بقرية جلدة بمركز ملوى بمديرية اسيوط. وانتظم فى سلك رهبان العذراء بالمحرق باسم بولص غبريال المحرقاوى فى التاسعة عشر من عمره. وكان وديعاً متواضعاً طاهر السيرة كثير الانفراد للصلاة فأحبه الرهبان حيا جما وسمع به اسقف المنيا اذا ذاك وهو الأنبا ياكوبوس فدعاه اليه واستبقاه عنده فى الأسقفية حينا من الزمن ثم رقاه إلى رتبة قس، ولما عاد الى ديره الذى كان عامرا وقتئذ بالرهبان الاتقياء اتفقت كلمتهم على ان يختاروه رئيسا للدير، كان الدير فى اثنائها ملجأ لالوف الفقراء الذين سمعوا بآيات بره وعطفه على امثالهم.

ثم استعفى من رياسة الدير وذهب الى دير البرموس وأقام به مدة كراهب بسيط، لا شغل له الا درس الكتاب وتعليم الرهبان. وفى سنة ١٥٩٧ ش (١٨٨١م) اختير اسقفا للفيوم باسم الانبا ابرآم، فاشتهر فى مدة اسقفيته بأمرين :

الأمر الأول ـ عطاياه للفقراء الذين كانوا يؤمون دار الأسقفية بالمئات والألوف على اختلاف مللهم فيهبهم كل ما يكون عنده من مال، وقد جعل دار الأسقفية مأوى لكثير منهم، وطالما كل يقدم ثيابه للعريانين وطعامه للجائعين.

ولم يكن يسمح مطلقا بأن يُقدم اليه طعام أفخر مما يقدم للفقراء، واتفق مرة ان نزل ليتفقد جماعتهم وهم يأكلون طعامهم فأدهشه ان لاحظ ان الطعام الذى قدم اليه فى ذلك اليوم كان اكثر تأنقا مما وجده امامهم فساوره الحزن وأقال الراهبة الموكلة بخدمة الفقراء من عملها فى الحال.

أما الأمر الثانى الذى اشتهر به فهو صلاة الإيمان التى جرت بواسطتها على يديه آيات شفاء جمة حتى ذاع اسمه فى انحاء البلاد وبلغ بعض بلدان اوربا ايضا. وكان يقصده المرضى افواجا على تباين أديانهم فيتبركون بصلاته.

وكان الأنبا ابرآم واسع الاطلاع على الكتب المقدسة يلقى على زائريه دائما نصائح وتعاليم وعظات تدل على وفرة علمه بأسفار الكتاب، ولكن الأهم من ذلك انه كان ذا صفات نقية وفضائل جمة. ومن أخص تلك الصفات انكاره لذاته انكارا شديدا وزهده الحقيقى فى ملاذ الحياة وأمجادها فطعامه ولباسه لم يتجاوزا قط حق الضرورة ولم تكن تطمح نفسه الى أبهة المناصب والرتب حتى ان البطريرك لما اراد ان يرفعه الى رتبة المطرانية أبى قبول الرتبة معتذرا بقوله ان الكتاب المقدس لا يذكر من رتب الكنيسة إلا القسوسية والأسقفية. ومن صفاته ايضا انه كان صريحا إلى أقصى حدود الصراحة فى ابداء رأيه. لا ينظر فيما يقول إلا الى الحق لذاته، فتتضاءل عنده هيبة العظماء ومقامات الكبراء امام هيبة الحق وجلاله. ولذلك كان مطارنة الكنيسة وأساقفتها يتقون غضبه ويتمنون رضاءه وانتقل الى النعيم فى ١٠ يونيو سنة ١٩١٤ فشيعه الى قبره حوالى العشرة آلاف نفس من المسلمين والمسيحيين.

البابا كيرلس الخامس
البطريرك المئة والثانى عشر

ولد فى بلدة تزمنت بمديرية بنى سويف فى نحو سنة ١٨٢١م وكان اسمه حنا، وهاجر أبواه إلى قرية كفر الصعيدى بمديرية الشرقية وتعلم فى الكتّاب وامتاز بحسن الخط العربى والقبطى ولذلك أطلق عليه اسم حنا الناسخ. ولما بلغ العشرين من عمره تاقت نفسه إلى الرهبنة رغم رغبة والديه وترهب فى دير البراموس وأرتقى قسا فقمصا وتعين رئيسا للدير. ولما تنيح البطريرك ديمتريوس الثانى ظل الكرسى خاليا خمس سنوات لأن الأنبا مرقس مطران البحيرة الذى كان نائبا بطريركاً كان يطمح الى الكرسى البطريركى، ولكن اعيان القاهرة واكليروسها اختاروا القمص يوحنا الناسخ بطريركاً فعارضهم بعضهم فى ذلك وأخيراً فاز الحزب الذى اختاره ورسم فى ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ش (أول نوفمبر سنة ١٨٧٤م) باسم كيرلس الخامس.

وقبل رسامته كان قد عُين مجلس ملى من الأعيان للإشتراك مع النائب البطريركى فى إدارة الشؤون. فلما ولى الكرسى حدث بينه وبين المجلس خلاف، كما أن الإنقسام دب بين أعضاء المجلس نفسه فتعطلت أعماله.

وفى سنة ١٨٨٣م اجتمع الأعيان برئاسة بطرس باشا غالى وألفوا المجلس الملى الثانى ووضعوا له لائحة صدر أمر عال من الخديوى توفيق باعتمادها، ثم تجدد الخلاف ولكن بمساعى بطرس باشا زال هذا الخلاف وعقد المجلس فى سنة ١٨٩١ ولكنه عطل.

وفى يونيو سنة ١٨٩٢ شكل المجلس الثالث فلم يرتض به البطريرك واستفحل الخلاف فاستصدر المجلس أمراً عاليا برفع يد الأنبا كيرلس من رئاسته وانتخب اسقف صنبو وكيلا بطريركيا فلم يزد ذلك

نار الخلاف إلاتسعرا، فطلب المجلس من الحكومة إبعاد البطريرك إلى دير البراموس وإبعاد الأنبا يؤنس مطران الإسكندرية إلى دير الأنبا بولا. فاصدر البطريرك حرماً فانقسم القبط على أنفسهم وعطلت الشعائر الدينية وقدمت العرائض للحكومة بإعادة البطريرك، فلم ير المجلس الملى بدا من ان يطلب إعادته، فأعيد بعد ما أقام نحو ستة أشهر فى الدير.

وكان نتيجة عودته حل المجلس الملى والإستعاضة عنه بلجنة ملية، ولكن أحوال البطريركية ساءت فى عهدها فالغيت وشكل المجلس الملى الرابع فى سنة ١٩٠٦ وظل قائماً بعمله إلى سنة ١٩١٢ حين صدر تعديل لاختصاصاته ثم أعيدت اليه هذه الإختصاصات فى سنة ١٩٢٧ وهى السنة التى تنيح فيها البابا كيرلس الخامس (فى اول مسرى سنة ١٦٤٣ - ٧ أغسطس سنة ١٩٢٧م) بعد ما جلس على الكرسى ٥٢ سنة و٩ أشهر و٦ أيام. وكان إلى ما قبل نياحته ببضع سنوات عضواً فى مجلس شورى القوانين.

وفى عهده اشئت المدرسة الإكليريكية فى سنة ١٨٩٤ومدرسة قبطية كبرى للبنين فى الإسكندرية ومدرسة للصنائع فى القاهرة ومدارس التوفيق القبطية بالقاهرة وكلية عليا للبنات بالعباسية.

بل ان عهده كان عهد ازدهار للتعليم وبناء الكنائس فى انحاء المملكة، وإنشئت المستشفيات والملاجئ، وتأسست الجمعيات الخيرية.

وزار البطريرك السودان بعد إعادة فتحه مرتين. فجمع اموالا فى المرة الأولى لإنشاء مطرانية الخرطوم وكنيستها فى سنة ١٩٠٤ وفى المرة الثانية لتدشين الكنيسة فى سنة ١٩٠٩.

وفى عهده عُقد مؤتمر قبطى فى اسيوط سنة ١٩١١ برئاسة مطرانها الأنبا مكاريوس الذى صار بطريركا فيما بعد، لتقديم طلبات القبط إلى الحكومة، ولم يرق ذلك فى نظر الحكومة ولا فى نظر المواطنين فعقد مؤتمر مصرى عارض المؤتمر القبطى فانتهى امره بالفشل واحياء الخلاف العنصرى مدة من الزمن حتى قضى عليه سعد باشا زغلول.

وفى عهده شبت نار الحرب فى سنة ١٩١٤. وفى آخرها اعلنت الحماية الإنجليزية على مصر وعقدت الهدنة فى سنة ١٩١٨ وطالب المصريون باستقلاق بلادهم وكانت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ باتحاد المسلمين والقبط، وبعد جهاد دام سنوات تنازلت انجلترا عن حمايتها فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ واعلن السلطان فؤاد استقلال مصر فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ واعلن بنفسه ملكا ووضع دستور للبلاد وانشئ الحكم البرلمانى بزعامة سعد زغلول باشا. وكان البابا كيرلس الخامس مؤيداً لهذه الحركة.

وأهم صفات هذا البابا انه كان واسع العقل. قوى الذاكرة. حريصا على مقام الكرسى البطريركى وكرامته وسلطانه، وكان فى الوقت نفسه عائشا عيشة التقشف والنسك وكانت علاقاته بجميع الكنائس المسيحية علاقات مودة وصفاء وعاصر من ولاة مصر محمد على وعباس وسعيد والخديوين اسماعيل وتوفيق وعباس والسلطان حسين والملك فؤاد.

البابا يؤنس التاسع عشر
البطريرك المئة والثالث عشر

ولد هذا البطريرك في بلدة دير تاسا بمديرية اسيوط في سنة ١٥٧١ش (١٨٥٥م) وتعلم في كتاب بلدته. وفي السنة التي رسم فيها الأنبا كيرلس الخامس بطريركا قدم إلى القاهرة وقدم نفسه إليه فقبله وأرسله الى دير البراموس وسمى حنا وبعد سنة ترهب واستقدمه البطريرك إلى القاهرة ليكون تلميذاً له ولكنه اشتاق إلى حياة الهدوء في الدير فأذن له البطريرك بالعودة إليه. وبعد ما مضت عليه ثلاث سنوات رقى رئيسا للدير وقضى فى هذه الرئاسة عشر سنوات ورشح فى خلال ذلك مطرانا للحبشة فأبى. ولما خلا كرسى الإسكندرية والبحيرة اختير مطرانا عليه، ثم اضيفت إليه المنوفية وعين وكيلا للكرازة المرقسية وبقىَ فى المطرانية ٤٠ سنة من سنة ١٦٠٣ إلى سنة ١٦٤٣ش. حين اختير ثانياً بطريركياً على أثر نياحة البابا كيرلس الخامس.

وفي خلال هذه المدة نمت اوقاف بطريركية الأسكندرية نموا عظيما وانتشرت المدارس والكنائس في الأبرشية.

وقد ورد فى سيرة البابا كيرلس الخامس سلفه انه نفى إلى دير الأنبا بولا بسبب ما نسب اليه من المعارضة في وجود المجلس الملى ثم اعيد الى كرسيه.

وفى اثناء نيابته البطريركية سن قانونا للاديرة واعاد الرهبان اليها، وكان كثير منهم عائشين فى العالم، وكذلك صدر قرار وزارى بتأليف لجنة برئاسة البطريرك وعضوية مطرانين وأربعة من أعضاء المجلس الملى للإشراف على حساباتها، وبذلك انهى هذا النزاع الذى طال أمده، وعكر صفو اتحاد القبط هاتيك السنوات.

ولما تعذر وضع نظام لانتخاب البطريرك باتفاق المجمع المقدس والمجلس الملى العام وضعت الحكومة نظاما وقتيا لذلك وصدر به أمر ملكى وكانت الحالة داعية الى الاسراع فى انتخاب بطريرك لكى يرسم مطراناً للكرسى الاثيوبى فعقدت جلسة الانتخاب فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ حضرها ٨٥ من الاكليروس واعضاء المجلس الملى والاعيان واقترعوا سرا. فنال الأنبا يؤنس ٧٠ صوتا وبذلك نودى به بطريركا واحتفل برسامته فى ٧ كيهك سنة ١٦٤٥ ش (١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

وكان المجمع المقدس قد عُقد فى ٢٨ يولية سنة ١٩٢٨ وقرر "العمل دائماً بمبدأ وجوب ترقية احد المطارنة او الاسافقة الى رتبة البطريركية عند خلو الكرسى"

وأول عمل باشره بعد ارتقائه الى الكرسى البطريركى انشاؤه مدرسة لاهوتية للرهبان فى حلوان باسم مدرسة "يؤنس التاسع عشر" كما انه رسم للحبشة مطرانا قبطيا واربعة اساقفة من الاحباش، ورغم شيخوخته زار الحبشة بشخصه متفقداً ابناءه هناك، ورسم اسقفا حبشيا خامسا، وكان فى استقباله فى الحبشة من الفخامة والجلال بما يفوق وصف الواصفين

ويذكر عهد البابا يؤنس بصنع الميرون المقدس فى ١١مارس سنة ١٩٣٠. كما انه رسم مئات من القسوس والشمامسة لكرسى الاريترية.

وفى عهده وقعت الحرب بين ايطاليا والحبشة فى سنة ١٩٣٥وانتهت باستيلاء ايطاليا على البلاد وانقطعت صلة الكرسى المرقسى بها. ولكن الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ كان من نتائجها ان اعيد الى الحبشة استقلالها وشاهد البطريرك بعينيه قبيل نياحته رجوع مطران الحبشة الى كرسيه وعودة كنيسة اثيوبيا الى أحضان امها كنيسة الاسكندرية

وكان هذا البطريرك راهبا غيورا على الرهبنة، يريد الرقى واشتهر بقداسة السيرة والسخاء فى العطاء والعمل فى جو السلام والوفاق ومجاملة الجميع بلا فارق.

وانتقل الى السماء بشيخوخة صالحة فى صباح الاحد ١٤ بؤونه سنة ١٦٥٨ش (٢يونية سنة ١٩٤٢) بعد ماقضى على الكرسى ١٣سنة وستة اشهر وخمسة ايام.

. البابا مكاريوس الثالث

ولد المثلث الرحمة البابا مكاريوس الثالث فى مدينة المحلة الكبرى فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢م. وقد انجبته اسرة من اعرق الاسر القبطية فى الوجه البحرى، وهى مشهورة بأسرة القسيس، وامتازت بالفضيلة والتدين. فنشأ منذ نعومة أظفاره فى وسط دين تقوى. وقد تلقى علومه الابتدائية والثانوية بمدرستى "الفرير" بالمحلة الكبرى وطنطا. وكان منذ نعومة اظفاره زاهدا مولعا بالوحدة مهتما بحفظ الالحان الكنسية وهو صبى صغير. ولما بلغ السادسة عشرة من عمره هجر العالم وشخص الى دير القديس الانبا بشوى بوادى النطرون فى سنة ١٨٨٨ ليحقق رغبته فى العبادة والزهد. وكان اسمه الراهب عبد المسيح. فانكب فى الدير على العبادة ودرس الكتاب المقدس والكتب الكنسية والطقوس القبطية وسرعان ما ظهرت فضائله وتقواه وانتشرت سمعته الطاهرة بين رهبان أديرة وادى النطرون. وقد امتاز الراهب عبد المسيح بالنساخة وحسن الخط القبطى والعربى كما اتقن فنون الزخرفة القبطية الدينية. ولما وصل الى الانبا يؤنس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية خبر هذا الراهب الوديع وحسن سيرته ونشاطه سامه قسا فى سنة ١٨٩٢.

وبعد ان قضى فى هذه الحياة النسكية الطاهرة نحو ست سنوات بداخل دير الانبا بشوى ببرية شيهات شخص ذاته الى دير البرموس فى سنة ١٨٩٥ بدعوة من المتنيح البابا كيرلس الخامس الذى كان موجوداً وقتئذ فى النفى بهذا الدير، فمكث فى صحبة قداسته فترة من الوقت كان فيها محل الاعزاز والتقدير من غبطته وقام بترقية إلى رتبة القمصية فى سنة ١٨٩٥ وعينه تلميذا خاصا له.

ولما عاد غبطة البابا كيرلس الخامس من منفاه الى مقر كرسيه المرقسى مكرما استصحب معه هذا الاب الورع وعينه كاتما لأسراره كما كلفه بالتدريس فى مدرسة الرهبان وأناط به تدريس اللغتين القبطية والفرنسية، وكان فى نيته أن يرسمه مطرانا لكرسى مصر ولكنه بعد مضى ٢٥ شهرا على وصول القمص عبد المسيح إلى القاهرة انتقل إلى رحمة ربه الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط.

حضر إلى القاهرة وفد من اسيوط وعلى رأسه المرحوم الخواجه مقار دميان قنصل فرنسا بهذه المدينة ووقع اختياره على هذا القمص الجليل وزكاه مطرانا لاسيوط فلم يقبل فى بادئ الأمر غبطة البابا طلبه هذا لأنه كان يحتفظ بالقمص ليجعله مطرانا للقاهرة ومساعدا لغبطته فى إدارة شؤون الكرازة المرقسية.

ألح وفد أسيوط فى الطلب واشتد فى الرجاء حتى اضطر غبطة البابا كيرلس لقبول اختيارهم له ورسمه مطرانا لأسيوط فى شهر ديسمبر سنة ١٨٩٧ وهو فى سن الرابعة والعشرين وسماه مكاريوس.

ذهب المطران مكاريوس إلى مقر كرسيه فى أسيوط وهو شاب يافع لا سلاح له إلا تقواه وزهده وعلمه واستلم أبرشية ممزقة وكنيسة مشققة ووجد شعبا مشرداً مزعزع العقيدة من جراء نشاط الارساليات البروتستانتية التى تغلغلت فى صفوف الاقباط بأسيوط فشمر عن ساعد جده وماضى عزمه وحنكة الشيوخ وتجربتهم رغم حداثة سنة فنجح نجاحاً عظيما فى ضم الشتات وتركيز العقيدة واحتفظ للشعب بوحدته وللكنيسة بمقامها وقدسيتها. ولم يكتف نيافة الأنبا مكاريوس بالبرنامج الذى وضعه للاصلاح الكنسى بل رعى مؤتمرا قبطيا عظيما صار عقده فى مدينة أسيوط فى سنة ١٩١٠ رغم الاعتراضات التى قامت فى سبيل تحقيقه وقدم رسالة لغبطة البابا أزال بها أثر التخوف من عقده، كما أظهر له أن الغرض الحقيقى الذى يرمى اليه المؤتمر هو توثيق عرى المحبة بين جميع العناصر لمصرية، والمحافظة على حقوق الأمة القبطية، فكان لهذه الرسالة التأثير الكلى فى القضاء على المساعى التى تبذل لمنع عقد هذا المؤتمر حتى رخص جناب المستشار الداخلى وقتئذ لرئيس المؤتمر به، وعقد المؤتمر الاجتماع الأول فى صبيحة يوم الأثنين ٦ مارس سنة ١٩١٠ وافتتح نيافة المطران مكاريوس الجلسة بالصلاة ومنح المجتمعين البركة مناشدا أعضاء المؤتمر أن يظهروا كل الحكمة فى مناقشاته وحفظ حسن العلائق مع بقية أخوانهم المصريين، وفى الوقت ذاته بما ينطبق على احترام وحسن رضا الخديوى المعظم عباس الثانى.

ولم يكتف نيافته بهذه المسائل العامة بل أنه فى أول سنة ١٩٢٠ قدم لغبطة البابا كيرلس الخامس رسالة عن المطالب الاصلاحية الملية بالاشتراك مع زميله الأنبا ثاوفيلس أسقف منفلوط وأبنوب، مما دل على عظم كفاءته، وفى سنة ١٩٢٦ طالع الشعب القبطى بخطاب مفتوح لأصحاب النيافة المطارنة الذين عارضوا مشروع إعادة لائحة سنة ١٨٨٣ الخاصة بتشكيل المجلس الملى العام، وكان موقفا نبيلا يدل على الجرأة النادرة فى سبيل إعلاء كلمة الحق، كما كان بلسما شافيا من الجراح التى كانت تئن منها الكنيسة والشعب.

ولما تنيح البابا كيرلس الخامس فى سنة ١٩٢٨ رشح الشعب نيافته للكرسى البطريركى لتحقيق مطالب الاصلاح التى كانت تشغل كل الأمة ولكن جرت الأمور إذ ذاك على غير رغبة الشعب ولعبت الاغراض فطوحت بتلك الآمال، فقابل نيافته هذا الأمر بصبر وجلد مدى الأربعة عشر عاما التالية إلى أن تنيح البابا يؤانس التاسع عشر وسمحت العناية الالهية أن يتبوأ نيافته العرش المرقسى إذ فاز فى الانتخاب بالأغلبية وتوج بطريركا على الكرازة المرقسية فى يوم الأحد الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٤٤ وأذاع فى حفلة تنصيبه رسالة إلى الأمة المصرية عامة والأقباط خاصة.

وبعد أن تنوأ البابا مكاريوس كرسى البطريركية أصدر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٤ وثيقة تاريخية غرضها الأساسى اصلاح الأديرة وترقية رهبانها علميا وروحيا وأمر بمحاسبة نظارها ورؤسائها، وقد أدى هذا الأمر إلى وقوع انقسام كبير يؤسف له لأن البابا أصبح وحيداً فى معسكر يشده المجلس الملى، والرؤساء الدينيين باجمعهم فى معسكر آخر، واشتد الخلاف بينهم فطلب الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة عقد المجمع المقدس لاتخاذ الخطوة الفعالة لتنظيم الرهبنة واوقافها إلا أن قداسة البابا لم ير لزوماً لجمع

المجمع فاشتد النزاع بينه وبين هيئة الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة فى هذا الشأن. وعلاوة على هذه المشاغل فلقد زادها ارتباكا مطالب مملكة اثيوبيا فقام البابا بايفاد بعثة مصرية برئاسة الأنبا تيموثاوس مطران الدقهلية وعضوية ثلاثة من اعضاء المجلس الملى لهذا الغرض فبارحت القطر المصرى فى يوم ٢ يونيه سنة ١٩٤٤ .

واصبحت والحالة هذه قيادة بطريركية الأقباط فى أيدى المجلس الملى العام بلا قيد ولا شرط، ورأى حضرات الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة ان مساعيهم لدى غبطة البابا اصبحت بلا ثمرة فاضطروا إلى عقد مجمع مقدس للنظر فى هذه الحالة لاتخاذ الوسائل المشروعة الكفيلة بصون مصالح الأمة القبطية اكليروسا وشعبا. فاجتمع المجمع المقدس فى الدار البطريركية فى يوم ١٦ مايو سنة ١٩٤٤ برئاسة الأنبا بطرس مطران كرسى سوهاج واخميم إذ لم يقبل سيادة البابا حضوره فيه وتداول المجمع فى هذه الشؤون واصدر قرارا رفعه لغبطة البابا وطبعه ونشره على الشعب. كما اجتمع المجمع ايضا مرة اخرى امتنع غبطة البابا عن حضوره أيضاً وذلك فى ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤ وقرر الاعتراض على سلب المجلس الملى لسلطة البابا والاحتجاج على أعتدائه على إدارة الأمور الكنسية التى هى من صميم سلطان البابا والمجمع المقدس.

وفى ٧ يونيه سنة ١٩٤٤ قدم المجمع المقدس مذكرة إلى حضرة صاحب الغبطة البابا البطريرك وحضره صاحب المعالى وزير العدل بالاعتراض على مشروع قانون الأحوال الشخصية للطوائف غير الإسلامية لأنه يهدم قانونا من قوانين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كما انه يمس سرين من أسرارها المقدسة وهما سر الزواج وسر الكهنوت المعتمدان ركنان من أركان الدين والعبادة.

وقد استمر النزاع القائم على أثر الحوادث المتقدمة وتعذر التوفيق بين المجمع والمجلس وفشلت المحاولات التى قام بها قداسة البابا المعظم لإزالة سوء التفاهم، واصر المجلس على عناده وتدخله فى غير اختصاصه، بل فيما هو من صميم اختصاص المجمع المقدس.

أمام هذه الظروف قام الأنبا تيموثاوس رئيس البعثة القبطية الموفدة الى أثيوبيا بإرسال التلغراف الآتى إلى رئيس مجلس الوزراء المصرى بتاريخ ٤ يولية سنة ١٩٤٤ .

"حضرة صاحب المقدم الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء.

تحية واحتراما مشفوعين بصالح الدعاء وخالص الولاء لعرش جلالة مليكنا المحبوب المفدى والشكر لحكومته السنية على الخدمة الجليلة التى اسدتها الى البعثة القبطية لأثيوبيا.

وبعد يسرنا ان نبلغ رفعتكم ان البعثة أدت مهمتها على ما يرام ووقفت على طلبات الاثيوبيين وستعرض على المجمع المقدس برئاسة غبطة البطريرك للنظر فيها بعين الاعتبار.

ولكن الحالة الحاضرة الناشئة من تكرار افتئات المجلس الملى العام على السلطات الدينية فى المناسبات المتعددة الماضية وفى مسألة أوقاف الأديرة فى الوقت الحاضر دون الاصغاء والالتفات الى القواعد التى يصنعها العقلاء للتراضى وتقريب وجهات النظر أحدثت حالة من القلق بسبب هذه الأمور، والعراقيل التى توضع فى طريق أعمال المجمع المقدس الذى يهمه كما يهم رفعتكم وحكومتكم السنية سرعة البت فى طلبات أثيوبيا. ولا شك فى ان حكومتكم السنية تقدر الاتحاد

الاثيوبى المصرى حتى قدره، فازالة هذا الخلاف تتوقف على كلمة تصدر من رفعتكم للمجلس الملى كى يصفو الجو ويسود الوفاق وتنصرف الكنيسة للنظر فى هذا الموضوع الخطير بالسرعة الواجبة.

ولى ملء الثقة فى ان الله سيجعل على ايديكم تحقيق آمال الجميع وتوثيق عرى الاتحاد فى ظل جلالة مليكنا المعظم واخلاص حكومته السنية"

لم يكتف المجلس الملى العام بهذه التعديات بل وسع شقة الخلاف بتشجيع حركة قيام البعض فى الابرشيات فى وجه حضرات الأباء المطارنة وقد دفع كل ذلك سيادة البابا المكرم الى هجر العاصمة مقر كرسيه والاعتكاف فى حلوان ولكن المجلس الملى لم يترك غبطة البابا فى راحة حتى اضطر الى طرد بعض اذناب المجلس من امامه فى حلوان والتوجه فى الصباح الباكر فى يوم ٢ النسئ سنة ١٦٦٠ إلى الأديرة الشرقية بصحبة الآباء المطارنة الانطونيين الأنبا ثاوفيلس مطران القدس الشريف والشرقية ومحافظات القنال ورئيس دير انطونيوس والأنبا تيموثاوس مطران الدقهلية والأنبا ابرام مطران الجيزة والقليوبية. وبعد ان استقر فى دير انطونيوس مع الآباء المطارنة قام الى دير انبا بولا، وعاد من رفقة البابا صاحبا النيافة الأنبا ثاوفيلس والأنبا إبرآم أما الأنبا تيموثاوس فلازم قداسته فى رحلته واقامته بدير انبا بولا، وارسل البابا مكاريوس من الدير عدة رسائل بتاريخ أول أيام النسء سنة ١٦٦٠ يعلن فيها انابة الأنبا بطرس مطران اخميم وسوهاج والأنبا توماس مطران البحيرة والغربية والأنبا ديمتريوس مطران المنوفية للقيام بالاعباء الروحية للكرسى البطريركى مدة اعتكاف قداسته بالدير ويكون سكرتيراً لهم الايغومانوس ابراهيم لوقا راعى كنيسة مارمرقص بمصر الجديدة ويقوم بالاعباء المدنية سعادة ابراهيم باشا المنياوى على أن يقوم بالسكرتارية الاستاذ عزمى نوار مدير المدارس القبطية والدكتور نصيف سيدهم، وبنى هذه الانابة على انه سيقيم فى الدير لعجزه عن ايجاد السلام بين المجمع المقدس والمجلس الملى.

وقد كان لهذه الحوادث المؤلمة ضجة كبيرة فى جميع الاوساط واهتز لها كل غيور على الكنيسة حتى ان سعادة ابراهيم باشا المنياوى وكيل المجلس لما عاد من مصيفه بلبنان قصد فى الحال دير الأنبا بولا لمقابلة غبطة البطريرك فى يوم الخميس ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤ وعاد منه فى اليوم التالى ونشر بيانا عن لسان البابا فى هذا الصدد، وفى يوم الخميس ٥ اكتوبر قام اصحاب النيافة الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا والأنبا تاوفيلس مطران القدس والشرقية ومحافظة القنال والأنبا توماس مطران البحيرة والغربية الى دير القديس الأنبا بولا لزيارة قداسة البابا والاستفسار عن صحته، وبعد ذلك استقالت الوزارة النحاسية وشكل احمد ماهر باشا الوزارة الجديدة، وكلف غبطة البابا وفداً من الآباء المطارنة للقيام بتبليغ تهانيه للوزارة الجديدة.

ولما علم دولة رئيس الوزراء بهجرة البابا المعظم تكدر جداً وعمل على عودته مكرما الى كرسيه وكلل عمله بالنجاح ورفع المجلس الملى غبطته كتابا يلتمس فيه عودة قداسته حتى يتسنى تصريف شؤون الطائفة والتضافر على السير فى طريق الاصلاح المنشود، وان المجلس يرحب بالمحافظة على حقوق الكرسى البطريركى لأنها الدعامة التى يقوم عليها نظام الكنيسة. وبعد ذلك عاد غبطته من الدير مع وفد الأباء المطارنة الذين توجهوا للدير لاستصحابه فى عودته، وكان استقبال غبطته فى الطريق بين السويس والقاهرة استقبالا حافلا كما استقبلته الجموع العديدة التى احتشدت فى فناء الدار

البطريركية بمظاهر حماسية مؤثرة فقام قداسته بالقاء الكلمة الآتية على الحاضرين.

"لقد جئت الى هنا تحقيقا لرغبة صاحب الدولة احمد ماهر باشا وانني أشعر من صميم قلبي بأنه خير من تولى الحكم في مصر وقد تلقيت الرسالة التي كلف دولته الاستاذ عزيز مشرقي بك ان يبلغها اليّ وحينما اقابل حضرته ساقبله شاكراً واسال الله ان يؤيد حكومته ويحفظه وأسرته ويبارك فيه ويجعل عهده عهد سعادة ويمن واقبال في ظل مولانا الملك المحبوب فاروق الأول حفظه الله".

ثم قصد غبطته الكاتدرائية الكبرى وأقام صلاة شكر لله دعا فيها لجلالة الملك بدوام العز والتأييد، ونشر دولة رئيس الوزراء بيانا إلى الأمة عن اتحاد عنصريها ثم شرف دولة رئيس الوزراء القصر البطريركي في يوم الأحد ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٤ مهنئاً بسلامة العودة.

وقد تصادف بكل أسف عقب وصول الركب البطريركي وفاة الأب الوقور الايغومانوس صليب ميخائيل وكيل البطريركية فتأثر غبطته لهذا الحادث وقرر تعيين الايغومانوس مرقس سرجيوس وكيلا بطريركيا مكانه.

ولم يلبث ان تبدل الحال بين القصر والمجلس وساءت العلاقات بينهما حتى أضطر البابا المعظم الى سحب موضوع اذونات الخطبة والاكليل من يد الديوان وانشأ لهذا الغرض إدارة خاصة بالقصر.

وانعقد المجمع المقدس واصدر في يوم أول يونيه القرارات التاريخية الآتية :

(ا) فيما يختص بالقضية الأثيوبية

أولاً : رفض الطلبات الآتية : (١) تعيين مطران أثيوبي (٢) انشأ مجمع أثيوبي مقدس (٣) منح مطران اثيوبيا حق رسامة الأساقفة.

ثانياً ـ الموافقة على المسائل الآتية : (١) اختيار أساقفة أثيوبية بمعرفة رؤساء الأديرة الكبرى (٢) رسم أربعة أساقفة من الأقباط والأثيوبيين للإبرشيات الأثيوبية (٣) تمثيل كنيسة أثيوبيا في المجمع الاسكندري (٤) منح الأسقف اسحق الذي رسمه البابا يؤانس في مصر سنة ١٩٢٩ الحل ومعافاته من أي تأديب كنسي (٥) تبادل البعثات بين مصر وأثيوبيا وأنشاء معهد اكليريكي بأثيوبيا

(ب) فيما يختص بالمسائل المصرية

(١) تأليف مجلس أعلى يراقب ويشرف على جميع الأوقاف الخيرية القبطية (٢) قصر الطلاق على علة الزنا ووضع قانون للأحوال الشخصية (٣) جعل لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك متفقة مع القوانين الكنسية وتقاليدها (٤) أنشاء كلية لاهوتية للرهبان (٥) تشكيل لجنة دائمة لفحص الكتب الدينية والطقسية (٦) المحافظة على مال الوقف وحسن سير العمل بالديوان البطريركي (٧) تنفيذ قانون الرهبنة الصادر في ٣ يونية سنة ١٩٣٧ بكل دقة واستدعاء الرهبان المقيمين خارج أديرتهم (٨) المحافظة على حقوق البطريرك وعدم المساس بسلطته (٩) محاكمة كل من يعثر المؤمنين أمام الرئاسة الدينية (١٠) أنشاء إدارة خاصة للمجمع المقدس بالدار البطريركية (١١) أنشاء سجل في كل كنيسة يقيد فيه أفراد كل عائلة قبطية، وآخر يقيد فيه أسماء المعمدين والمرتقين الى رتبة الشماسية والمتوفيين (١٢) جعل تعيين نظار أوقاف الكنائس من حقوق البطريرك والمطارنة (١٣) قصر رئاسة لجان انتخاب

فلما علم المجلس الملى العام بهذه القرارات اعترض عليها وكتب رده عليها.

وفى الساعة الخامسة من مساء يوم الأثنين ٣٠ ابريل سنة ١٩٤٥ تفضل جلالة الملك بزيارة دار مدرسة الأقباط الكبرى وافتتاح معرض النشاط المدرسى وكان فى شرف استقباله رجال الحكومة المصرية ورئيس مجلس النواب وكبير الامناء وكبار رجال القصر وغبطة البابا مكاريوس وأعضاء المجلس الملى وأعيان الأقباط، وأثناء تناول المرطبات أخذ جلالته يتحدث مع قداسة البابا الذى كان جالساً على يساره مستفسراً منه عن شؤون المدارس القبطية، وقبل مغادرة المكان صافح جلالته غبطة البابا ثم عانقه وقّبله، وكان لهذا العطف السامى أثر شديد فى نفس غبطته فاغرورقت عيناه بالدموع.

وفى صبيحه يوم الأربعاء ٦ يونية حل فى القاهرة غبطة بطريرك روسيا فاوفد غبطة البابا مكاريوس وفداً من الآباء المطارنة لاستقباله فى المحطة وتهنئته بسلامة الوصول، ثم ذهب بنفسه مصحوباً بخمسة من أحبار الكنيسة لزيارة الضيف العظيم فى بطريركية الروم الأرثوذكس بالحمزاوى بالقاهرة، وقد رد غبطة الضيف الكريم الزيارة للبابا المرقسى فى يوم الجمعة ٨ يونيه وكان بصحبته حاشيته المؤلفة من اثنى عشر مطرانا روسيا وغبطة بطريرك انطاكيه الأرثوذكسى ومطارنته، فكان استقبالاً قيماً مؤثراً فى الكنيسة والقصر وودعوا جميعاً بكل حفاوة واكرام.

وأخذ الخلاف بين قداسة البابا والمجلس الملى يشتد يوما بعد يوم، وأصبح جميع أحبار الكنيسة وعقلاء الشعب يشد ارز البابا لان التحرش كان يأتى من جانب المجلس الذى يسعى الى تجاهل وجود البطريرك وانكار حقوقه، باسم اللائحة مع ان اللائحة لا تنكر على البطريرك ما لكل رئيس هيئة نظامية من حقوق وسلطات يقتضيها النظام والانسجام بين الرئيس والاعضاء وأخذت الجرائد والمجلات تكتب فى هذا الشأن وتحث الى تطهير الجو الخانق من سموم الخلاف والنزاع وبسط يد الطاعة لغبطة البابا البطريرك وبذل ما وهبنا الله من عقل وحكمة وخبرة فى اكتساب قلبه لكى يكون قوة تسندنا وتشد إزرنا فى كل ما يؤدى إلى اصلاح هذه الحال وتحقيق ما نبتغيه جميعاً من الأمانى والآمال.

ولم يحل هذا الخلاف دون تولى البابا أمر الدفاع عن كيان امته وقوانين الكنيسة وخصوصا موضوع الأحوال الشخصية للطوائف غير الأسلامية فرفع رؤساء الطوائف غير الأسلامية بالقطر المصرى وعلى رأسهم بطريرك الأقباط الأرثوذكس بتاريخ ٣٠ مايو سنة ١٩٤٥ مذكرة إلى وزارة العدل بالاعتراض على القانون الخاص بتنظيم المحاكم الطائفية للأحوال الشخصية، ولما قدم المشروع الى البرلمان لم يلتفت فيه الى ما تناول اعتراض الطوائف عليه، فتقدم الرؤساء بعريضة الى مجلس الشيوخ والنواب فى ٢٥ يونية سنة ١٩٤٥ تحوى ملاحظاتهم على هذا المشروع، كما تحوى المبادئ والاعتراضات التى يجب الالتفات اليها حتى يصبح موافقا لاحوالهم وتقاليد عائلاتهم.

ولكن المجلس الملى العام بدلا من الالتفات الى القيام بالسهر على مصالح الأمة القبطية وقوانين الكنيسة، قام برفع قضية على غبطة البابا ليسمع غبطته الحكم عليه بوجوب الاعتراف لوكيل المجلس بانه صاحب السلطة المطلقة فى المجلس والامة والكنيسة، وانه ليس للبطريرك وجود فى غير الهيكل والبخور وبدأت بذلك إثارة عاصفة شديدة مدبرة، الغرض منها الكيد للرئاسة الدينية العليا. وتجاهل المجلس أن سلطة البابا البطريرك تشمل العقائد والآداب الدينية من ناحية، والتقاليد الطائفية من ناحية

أخرى، كما تستند من ناحية ثالثة الى نصوص تشريعية وضعية، وانه مهما اختلفت الصفة التى يتحدث بها فهو إنما يمثل الأمة القبطية عن بكرة ابيها وحده غير منقسم، وشخصا معنويا لا يقبل التجزئة، وله حق الرقابة العامة على أموال البطريركية، وعلى ذلك قام غبطته امام تصرفات المجلس الملى، غير الشرعية وغير القانونية، باتخاذ الاجراءات الفعالة لإعادة النظام فى الإدارة البطريركية واضطلاعه رسمياً بالرقابة الفعالة على أموال البطريركية وطلب الى المصارف ان لا تصرف اى مبلغ من الأموال المودعة عندها باسم البطريركية أو باسم المجلس مالم يكن الشيك ممهورا بتوقيع من غبطته.

وقد صدر الحكم فى القضية سالفه الذكر على غير ما كان المجلس يؤمل ولو ان القاضى لم يتعرض للموضوع ولكن الحكم ذاته خليق بان يتيح للمجلس فرصة حسنة للتأمل وإعادة النظر فى موقفه لعله يرى أن سياسة استعداء الحكومة على البطريرك تارة، والالتجاء الى البوليس والنيابة تارة أخرى، وإلى القضاء طوراً قد منيت بالفشل، غير ان المجلس لم يفكر فى ان المخرج الوحيد من هذا المأزق هو الرجوع الى مسالمة البطريرك والتفاهم على اساس الاعتراف بحقوقه كبطريرك وكرئيس للمجلس الملى العام، ولقد ذهبت كل الجهود التى بذلت لفض هذا الخلاف سدى، واستمر المجلس فى خطته.

امام هذه الظروف المحزنة اضطر غبطة البابا بنزع موضوع محاضر الخطبة وعقود الزواج من الديوان وجعله من اختصاص القصر البطريركى، يقوم بالعمل فيه هيئة من الكهنة برئاسة وكيل البطريركية، واستمر العمل سائرا على هذا المنوال رغم تهديد المجلس الملى العام لكهنة القاهرة.

ولما بلغه نبأ وفاة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تأثر جداً وقام بواجب العزاء رغم انحراف صحته وكلف وكيل البطريركية ان يرثيه مظهراً تلك الصفات العالية والاخلاق الرضية التى طواها القبر على جثمان الأمام الأعظم الشيخ مصطفى المراغى. هذه الشخصية الفذة والعقلية الناضجة التى كان الشرق عموما ومصر خصوصا بحاجة اليها لتعكس كالمرآة الصقيلة نور العلم والحرية والعدالة على الوسط الذى تألق فيه.

وكان قداسة البابا يشكو، كما تقدم ذكره، من ضعف شديد ألم به فى الأسبوعين الآخيرين اضطره لأن يلازم فيهما قصره معتكفاً. وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٤ مسرى سنة ١٦٦١ (٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٥) أستقبل قداسته سفير غبطته لكاتب هذه الرسالة بالمثول بين يديه فتقبل دعاءه واستأذن بالانصراف لأن البابا كان فى حالة تستدعى الراحة، وبعد ظهر ذلك اليوم أبدى قداسته بعض النشاط فخرج للرياضة والنزهة ثم عاد لقصره، وفى الساعة الحادية عشرة مساء شعر بتعب شديد وأصيب بهبوط فى القلب فاسرع الأطباء لإسعافه حتى مطلع الفجر، وفى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم الجمعة حل القضاء وصعدت الروح الطاهرة الى بارئها. ولم يكد يذاع هذا الخبر المولم حتى أخذت أجراس الكنيسة المرقسية الكبرى تدق دقاتها الرهيبة وظلت تدق نغمات الحزن حتى المساء. كما هرعت الى الدار البطريركية الوفود معزية. وأبلغ النبا الى القصر الملكى ودولة رئيس الوزراء وممثلى الدول الأجنبية كما أرسلت برقية لجلالة امبراطور أثيوبيا. واحتفل فى الساعة الحادية عشر ونصف قبل ظهر يوم الأحد الموافق ٢ سبتمبر بتشييع جثمان الفقيد العظيم بحضور مندوب جلالة الملك ودولة رئيس الوزراء وأصحاب المعالى الوزراء وسفراء الدول وكثير من رجال الدولة والسلك السياسى ورجال الدين من مختلف الطوائف وكبار الضباط الأجانب. وبعد

انتهاء الصلاة تقبل حضرات الآباء المطارنة وأعضاء المجلس الملى عزاء المعزين ثم حمل الجثمان الطاهر الى مقره الأخير بالكنيسة بين مظاهر الحزن والأسى، ووضع تابوته بجانب أجساد البطاركه كيرلس الرابع وديمتريوس الثانى وكيرلس الخامس ويؤانس التاسع عشر، بعد أن أقام على الكرسى مدة سنة واحدة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً. أسكنه الله مساكن الأبرار.

ولقد تصادف ان حصلت زلزلة فى القاهرة فى الساعة الثانية والدقيقة ٤٥ وقت الدفن شعر بها الجميع وأثرت فى نفوس آل القاهرة لحزن الطبيعة على انتقال هذا القديس الطاهر من هذا العالم الى الأحضان الربانية :

خـــلاصـــة

أحوال القبط فى القرنين التاسع عشر والعشرين

قذفت الثمانية عشر قرنا الأولى من العهد المسيحى بالقبط على شاطئ القرن التاسع عشر وهم أقلية ضئيلة.

لكـل شـئ إذا مـاتـم نـقصـان	فلا يغر بطيب العيش انسان
هـى الأمـور كمـا شـاهـدتهـا دول	من سـره زمـن ساءته أزمان

فقد أصبح عددهم لا يتجاوز المئة والخمسين ألفا بعدما كانوا أيام الفتح العربى نحو عشرين مليونا، وعدموا الثروة والعلم وكل ما كان لهم من معدات القوة الأدبية والقوة المادية اللتين كانتا تميزانهم كشعب هو سلالة أقدم أمة متمدينة، وذلك بسبب ما نزل بهم من المحن، تارة من مواطنيهم المسيحيين الملكيين أصحاب الطبيعتين قبل الفتح العربى، وطورا من الحكام الذين تعاقبوا على البلاد بعد الفتح، إلى أن القى الدهر بمقاليد البلاد بين يدى مجدد شباب مصر محمد على جد الأسرة المالكة الآن إذ بدأ القبط يستروحون نسيم الراحة ويستعيدون قوتهم وحياتهم شيئاً فشيئاً، ولا سيما من عهد الخديوى اسماعيل أو قبل ذلك بقليل إلى اليوم.

وأول من قيضته العناية لهم فى أواسط القرن التاسع عشر المشار إليه فنقلهم من الظلمة إلى النور ووضع بيده حجر الزاوية فى اساس يقظتهم ونهوضهم هو المثلث الرحمة المطوب الذكر الأنبا كيرلس الرابع ذلك الرجل الكبير القلب والعقل، البعيد النظر، العالى الهمة الذى تألق نجمه فجأة فى حنادس ذلك الظلام ثم انطفأ كذلك فجأة قبل أن يتم عمله العظيم.

ومن عهد ذلك البطريرك واحوال القبط الداخلية سائرة فى طريق التحسن، والفضل فى ذلك للعقول التى نبتت فى المدارس التى انشأها والرجال الذين عاشروه وتلقوا عنه دروس الغيرة والنشاط والأخلاص فى خدمة شعبه.

واخذ عدد القبط فى النمو المتوالى إلى ان بلغوا فى الاحصاء الأخير اضعاف ما كانوا عليه فى أول القرن التاسع عشر فكثرت كنائسهم ومدارسهم وجميعاتهم الخيرية والدينية وانشئت لهم مجالس ملية تقضى فى احوالهم الشخصية فاشتد شوقهم إلى التقدم والوثوب إلى الأمام مجاراة لتيار الرقى العام المتدفق بجوارهم وقد قطعوا والحمد لله شوطا محسوساً فى هذا السبيل.

الفهرس

صفحة

الفهرس


مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا - القاهرة الثمن ٣٠٠ قرشا
ت: ٥٧٨٢٩٣٢-٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٧٧٧٤٤٨
٣٨٧١
تشغيلة رقم
قرش جنيه
٣,٢٥
0628063